يوميات دكتور سرنجة

أحمد الطنطاوى

دار الكنزي النشر والتوزيع

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

الطبعة الأولى

الكتاب: يوميات دكتور سرنجه

المؤلف: أحمد الطنطاوي

تصنيف الكتاب:

تصميم الغلاف:

المقاس:

رقم الإيداع:

رئيس مجلس الإدارة

محمد صلاح شديد

المدير العام

إيناس الدسوقي

All Rights Reserved

Alkanzy for Publishing and Distribution

+01003897918

Alkanzy.co@gmail.com

Facebook.com/Alkanzy.com

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء :

إلى صديقيَ

د. عمرو نور

د. عمروشلبي

رحم الله روحيكما

أسال الله أن يتغمدكما برحمته

تنويه هام:

كل الأسماء التى تم ذكرها فى هذه الرواية

تم استبدالها بأسماء وهمية

مقدمة

حقا لا أعرف من أين أبدا!

لا أجيد كتابة المقدمات، ولا أحفظ عبارات الإنشاء التى تعدك بأنك ستقرأ كتابا مميزا رائعا يخلب لبك، ويجذبك إلى عالم فريدا من نوعه ويشدك نحو معانيه، ويأسرك داخل أوراقه ، ويجعل البسمة تعلو ثغرك، ولكنى سأقدم لك كتابا من الواقع المرير الذى يواجه كل حديثى التخرج، يبدأ حياته الجديدة بعد التخرج، ويحلم بأحلام وردية ويبنى مستقبله الزاهر الواعد و يخطط لما سيفعله, لو كنت ممن ذكرتهم فاسمح لى ان أبشرك وأصافحك وأخبرك انك لا تعيش على أرض الواقع البتة ولكن لن أحبطك وأقول لك أنك لن تقدر على فعل ذلك.

كلا، ولكن دعنى أنظر إلى جهدك وأشجعك فى المضى لما تخطط له وأنت تحاول الوصول إليه ثم تقتنع عن طريق التجربة أنه فعلا... مفيش فايدة !!!

ولكن لا تيأس يوما ما... ستحقق أحلامك.

الحياة مسرح كبير, كما قال الراحل يوسف بك وهبي.. ولكى تستفيد من واقع الحياة... لابد أن تدون كل ما يمر بك فى ذاكرتك لكى لا تتكرر المأساة, ولأننا قوم نتميز بقوة ذاكرة مميزة كفيلة بأننا لانستطيع استعادة أى شئ عند الحاجة إليها ولكنها قد تلاحقك إذا أردت الخلاص منها.

جاءتنى فكرة الكتاب عندما قابلت شخصا فى الصيدلية صديقا دائما للبروزولين presoline eye drop، وهى قطرة تستخدم لإزالة الحساسية والاحمرار وحكة العين, وغالبا يستخدمها أخواننا الشمامون

والمدمنون، وخاصة مدمنو الحشيش لإزالة احمرار العين والذى يصاحب تدخين الحشيش وأغلب المخدرات كالبانجو والماريجوانا.،

عامة صديقنا هذا الذى دخل الصيدلية كان يعانى من حساسية بالعين لم يكن مدمنا، كان محترما, انفتح قلبى لي, فأخذ يحكى عن مواقفه الفاشلة فى الحياة, وأنه دائم الفشل، لم أرد أن أحبطه وأخبره أن الغباء الذى يتمتع به هو السبب الرئيسى وراء فشله التام, وهنا خطرت فى بالى فكرة تدوين المواقف ولكن بأسلوب ساخر, وحفظها داخل كتاب، كما كان يفعل أجدادنا الذين سجلوا حياتهم على جدران المعابد, ولم يتركوا جدارا ولا بردية إلا وقد وضعوا لمساتهم السحرية عليها، وقد تشربنا ذلك منهم فأصبحنا مفتونين بالكتابة على الحائط والأبواب وخاصة أبواب الحمامات العامة، وفى بعض الأحيان قد نترك حكمة اليوم أو كلمات رائعة هى نتيجة تفاعل كيميائى داخل الحمام، أحسسنا أننا نريد أن نعبر عن تلك التجربة الرائعة...

ولأن الكتابة هى أسلوب حياة فقد صار شعار النقود، وخاصة ورقة المئتى جنيه صورة لكاتب مصرى يعانى من مغص بالبطن وعلى وجهه علامات الازدراء لكل من ينظر له.

خلاصة القول أنى أردت أن أتناول المواقف التى تمر بنا بأسلوب ساخر!

وهذا هو الحل لكل المشاكل أن تسخر منها ولا تجعلها تعيقك...

السخرية ستجعلك تتجاوزها ولا تلقى لها بالا...

وبعد حلك للمشكلة – إن كان لها حل – ستستعيد هدوءك وترجع إلى حياتك طبيعيا.

غير نظرتك للحياة تماما، انظر لها من منظار أبيض لكى ترى بوضوح.

مهنتى صيدلى، وهذه المهنة عظيمة، أيها السادة، حيث ستقابل كل أطياف الشعب بكل أنواعها: المثقفين, وأشباه المثقفين, واللصوص, وأمناء الشرطة, والجهلاء, والأغبياء, والأذكياء... كل ما تتمناه سوف تجده.

عملت فى مصر ثم سافرت إلى دولة من دول الخليج، مررت بتجارب ومواقف جعلتنى أعيد ترتيب أفكارى وأنظر إلى الواقع نظرة مختلفة.

تعلمت أننى مهما حاولت أن أتفادى المشاكل فهى لن تتركك أبدا, ستكون هى رفيقتك فى كل وقت, لذلك لا بأس أن تصاحبها ولكن بحذر؛ حتى لا تكون ممن هويتهم بجنون فتجدها يوميا تنتظرك بفارغ الصبر على أحر من الجمر؛ فقد وجدت فيك ضالتها, ولا تحاول أن تغضبها، وإلا فحذار فسوف تصب جام غضبها عليك, وحينئذ سوف تكون من الذين أعتنقتهم المشاكل منهاجا لها...

هذه اليوميات تتضمن مواقف حقيقية من الواقع، تمت صياغتها على شكل رواية

1- لست وحدك

هل تظن أنك الوحيد الذى تفكر بغرابة؟

هل تعتقد أن تفكيرك دائما يقودك للمشاكل؟

لست وحدك.

يوجد معك على سطح المعمورة من أوصله تفكيره إلى نتائج مذهلة مثل صلع مبكر على فروة الرأس، أو هبوط حاد فى الدورة الدموية. أو قضاء يوم كامل داخل الحمام لأنه لم يبتلع الجرعة المحددة فزاد عدد الاقراص الملينة من تلقاء نفسه إلى ضعفين أو ثلاثة أضعاف...أو حالة من التسمم بسبب نصائحه الطبية القوية.

بداية قدم الحمد لربك لأنك تمتلك عقلا طيبا لا يؤدى بك إلى هلاك، كما فعل الأخوة السابق ذكرهم فعلا.

من يشوف بلوة غيره تهون عليه بلوته .

بعد التخرج من كلية الصيدلة، والانضمام إلى زمرة المنتسبين إلى وزارة الصحة، تلك الوزارة العتيقة التى تآكلت بفعل عوامل الصرف الصحى وحسد وحقد الحاسدين، وخاصة الوزارت الخارجية، لن أخبرك عن المستشفيات الحكومية الرائعة التى تساهم فى شفاء المرضى بمجرد رؤية المستشفى، والوحدات الصحية المميزة والعيادات الخارجية التى تبعث البهجة لكل من يرتادها, ولكن دعنى أذكرك بواقعة حديثة وهى غلق مشفى خاص بسبب وجود القراميط!

لا تتعجب لا يوجد خطأ مطبعى فعلا عندما مرت اللجنة قامت بتفتيش غرفة العمليات فوجدت حوضا بل طبقا بلاستيكيا يستخدم لغسل البزلاء والبطاطا وسلق أوراق الكرنب وغسل الملوخية ووجدته مملؤا

بالماء، وبداخل بعض القراميط اللتى تلعب فى زهو وتختال وتعيش أحلى أيام حياتها، ولو وجدت الوقت الكافى للتكاثر لفعلت دون المساس بحرمة غرفة العمليات...

قراميط كان لديها مشكلة فى التهاب الزائدة الدودية وتضخم فى البروستاتا... فأرادت الممرضة أن تساعدهم..

ولربما كان هولاء البائسون يدرسون الطب فرع علوم بحار وأرادوا أن يتخصصوا فى قسم الجراحة...

السؤال الذى يثير حنقى وغيظى:

لماذا قراميط؟ !

إلا تعلم بأن القراميط تتغذى على الفئران؟ حقيقة علمية يعلمها أغلب العوام وقد رأيتها بأم عينى...

ولماذا أرادتهم القراميط أحياء؟

هل كنت تتسلى بتعذيبهم بوضعهم فى طبق بلاستيك ضيق, أم أنها كانت تريد ابتكار مشروع حوض زينة مصغر لكى يسعد الجراحين والمرضى.

ولماذا اختارت غرفة العمليات؟

كان الانسب ان تضعهم فى حمام المستشفى والرائحة كفيلة بإبعاد من يتسنى له التعدى على حقوق القراميط أو حتى إزعاجهم.

أسئلة ليست لها إجابة، أسئلة تصيبك بالجنون، ثم ترد عليك الممرضة أنها أرادت أن تأكل القراميط طازجة لأنها تكون ذات طعم مميز عندما تكون طازجة.

وإذا وصل المستشفى الخاص إلى هذا الحد من الإهمال؟! فإن المستشفيات الحكومية لها كل المبررات فيما تفعله، وإن كانت حادثة تواجد القطط داخل مشفى حكومى ليس ببعيد....

دعنا من كل ذلك ولنرجع بالذاكرة للوراء قليلا فى صيف عام 2004 وخاصة شهر يولية ذلك الشهر الذى من شدة حرارته تكاد تذوب خلاياك تحت وهج الشمس الحارة، وتجد جسدك تحول إلى أسفنجة يتم عصرها لتخرج المزيد من العرق، وتذهب إلى أقرب محل لبيع عصير القصب لترتوى و تنهى حالة العطش الملحة، ثم تكتشف أنك لا ترتوى أبدا! فبعد عشر دقائق يصيبك العطش مرة أخرى.

موعدنا اليوم فى صيدلية من الصيدليات المترامية فى مدينتى حيث تصادقت مع مالكها وأبديت رغبتى للتدرب فى أروقتها حيث أنى مازلت أدرس فى الصف الأول من الكلية وقتها أبدى اندهاشه، وسألنى: لماذا تريد تبديد إجازتك؟ فأجبته إنها الرغبة الجادة فى أعماقى لتحصيل العلم...

وجدنى معقدا نوعا ما فأبدى موافقته ودعانى للتدرب فيها فى أى وقت يناسبنى، شكرته على إتاحته الفرصة لى، وهكذا وجدت نفسى أتانق فى ارتداء الملابس، ارتديت أفضل ما عندى من الملابس بنطالا جينزا أزرق و تى شيرت أبيض ...وتمتمت البسملة وتلوت آية الكرسى، وانطلقت إلى الصيدلية يملؤنى الشوق للإبحار فى بحرها و التزود من عبق أزهارها الدوائية.

***

الصيدلية ذلك الكيان الغامض الذى يعج بكل أنواع الدواء من حبوب وكبسولات وحقن ومراهم ونقط وبخاخات للأنف والصدر ولاتنس بالطبع الأقماع...

ذلك المكان الذى يمتزج فيه منتجات التجميل مع الأكسسوارت الطبية والمنتجات العشبية فى تناغم رائع...

أراها تبتسم فى خجل إذا أعطيتها رونقها، وتارة أخرى تكشر عن أنيابها إذا أهملتها...

هى كالمرجع أو الموسوعة التى تحوى بين دفتيها آلاف الصفحات ورغم قراءتك لها عدة مرات ولكن تظل بعض الأوراق مجهولة لك...

هى فتاتك البكر التى أمضيت وقتا من عمرك لتجميلها وتطويرها إلى الأفضل تشاهدها وهى تنمو وتكن لها مودة وودا...

كما لايوجد كاهن دون معبد ولا عابد دون صومعة ولا جراحا دون غرفة عمليات فلا يوجد صيدلى دون صيدليته...

ستجد بين أوراقها سطورا تساعدك على فهم الحياة...

ستتعلم منها أن الصحة تاج على رؤوس الأصحاء لايراه إلا المرضى...

كما أنك ستسدى للمجتمع فضلا عظيما، فيكفيك أن كل من يحتاج إلى النظافة لابد أن يزورك ليبتاع منك شامبو أو سائلا للاستحمام

وبذلك تساهم فى خفض مستوى العفونة إلى أدنى مستوياتها...

ناظرا إلى أكوام الدواء التى يعلوها الغبار...

دلفت إلى الصيدلية وجدت أمامى سيدة فى نهاية العقد الثالث من عمرها تجلس على مقعد أماها مكتب بنى اللون خشبى...

سمراء اللون, بدينة, وعلى ملامح وجهها ترتسم ابتسامة بشعة...

ترتدى عباءة سوداء و حجابا بنيا، كانت تمضع علكة ثم تصدر بعد المضغ بالونة من فمها لكى تستمتع بصوت الطرقعة فى تلذذ, تلك السيدة من طراز السيدات اللائى تقابلهن بكثرة التى تعتقد أن الأرض ستصبح أفضل حالا لو خلت من الرجال...

هى ذات خبرة عالية فى مضمارها، وقد استسقت تلك الخبرة جراء عملها مدة طويلة فى التنقل من صيدلية لأخرى، ولكن تعد نفسها بانها ذات خبرة طبية تنافس بها السير مجدى يعقوب شخصيا...

كانت تملك قدرة غير طبيعية فى التحدث فى أى موضوع سواء كان سياسيا أو اجتماعيا أو حتى كان يتعلق بعلوم الفضاء، لا تمل من الحديث أبدا، وقد تصاحب أقراص الكيتوفان معك ولو وضعك سوء الحظ يوما معها فى جلسة.

نظرت لى تلك السيدة والتى كانت تلقب ب أم سلامة ، ثم عرفت مؤخرا أن اسمها فاطمة ...

نظرت لى فى شفقة وقالت بصوتها الحاد الذى أصاب طبلتى أذنى بالتشقق:

- حضرتك جاى من طرف د.محمد صح؟!

أومات برأسى موافقا على كلامها فأكملت هى:

- فى سنة كام ياحمادة؟

لا يملك أن يقول لى هذا اللفظ إلا أمى، هذه السيدة تستصغرنى لعدم الخبرة أو لأنها ترى نفسها كفاءة علمية قوية وتملك خلفية كبيرة فى الدواء....

رددت فى غيظ:

- أولا اسمى مش حمادة اسمى أحمد ثانيا اتفقت مع د. محمد على التدريب فى الصيدلية هى مواعيده امتى؟

ضايقها طريقتى فى الرد فقالت فى ضجر:

- بيجى بالليل الساعة 7 وفى واحدة شغالة الشفت الليلى اسمها لمياء بس لسه مش عارفة حاجة.

قلت لها:

- شكرا لك هاجى بالليل علشان اقابل دكتور محمد.

قالت لى فى استدراك للموقف:

- لو عايز تبص بصة على الصيدلية اتفضل د. محمد إدانى خبر عنك.

نظرت لها مرددا:

- شكرا يا مدام...

ردت قائلة:

- فاطمة وانا مش خريجة صيدلة بس عندى خبرة كبيرة والناس بتيجى لمجرد اسمى عامة لو عايز تسأل فى حاجة أسال ولا يهمك.

شكرتها للمرة الثانية وتركتها متجها لرفوف الدواء، كنت أشعر بالحيرة من أين أبدأ.

هل أبدأ من الأقراص والكبسولات؟

أم أبدأ من أدوية الشراب والمعلق؟

أم جزء الحقن و الأمبولات و المجفدات؟

أم جزء الأقماع والتحاميل؟

قررت أن أبدأ من الأقراص سأمر على كل علبة دواء وأعرف استخدامها؟ ومادتها الفعالة؟ و الآثار الجانبية؟

الأقراص مرتبة ترتيبا أبجديا وفقا لحروف الهجاء الإنجليزية وبالتالى فإن أول حرف سوف تواجهه هو حرف A ثم بعده ستقابل الحرف الإنجليزى B وهكذا حتى تصل إلى الحرف الأخير وهو حرف Z...

بالطبع ليست كل الصيدليات تسير على هذه الوتيرة فمنهم من يرتب الدواء وفقا لاستخدامه الطبي...

ومنهم من يرتبه حسب الشركات...

أمسكت بأول علبة دواء وكانت *Actnol أكتونول، بالتاكيد لم أكن أعرف فيم يستخدم، ولذلك فتحت العلبة وأخرجت الوصفة الداخلية و بدأت القراءة

- ده بتاع هشاشة عظام يا حمادة وبيستخدم مرة فى الأسبوع.

قاطعت أفكارى تلك الجملة التى صدرت من فم فاطمة، نظرت لها فوجدتها تبتسم ابتسامة سخيفة تجعلها أقرب إلى البلهاء أو من كان به عته...

ابتسمت لها بدورى ابتسامة من استمع إلى نكتة سخيفة وقرر مجاملة من ألقاها...

وجود تلك السيدة سوف يعيق ما أفعله، برز إلى عقلى بأن أسحق رأسها بكرتونة الدواء القابعة أسفل منى وأسترح من همها...

ولكن خسارة أن أفقد نفسى فى سبيل ذبح تلك الدجاجة، تحاملت على نفسى مستخدما أشد الوسائل للتحكم فى ضبط النفس، لا أريد أن أفقد أعصابى فى وجود تلك السيدة.

رددت على جملتها:

- شكرا على الإفادة الطبية.

قلتها داعيا من الله ان تتركنى تلك العفريتة لحالى...

و متمنيا لها أن تركز فى عملها...

لن ينفع تدربى فى الصيدلية أثناء تواجدها طالما تحب أن تلعب دور الخبير الطبى كما نشاهد فى التلفاز برنامج طبيب الأسرة وخمسة لصحتك وغيرها من تلك البرامج...

سحبت مقعدا وجلست أنتظر المرضى لكى أفهم كيفية التعامل، سرها جدا أنى جلست فأخذت تحكى لى عن تاريخها، وتاريخ المنطقة، و أسباب تدهور الاقتصاد، و لماذا خسر الزمالك المباراة الأخيرة أمام الأهلى، ماشاء الله تملك معرفة لا تقارن بما لدى وكالة رويتر...

وما هى إلا دقائق ودخل علينا رجل مسن نظر إلى فاطمة قائلا لها:

- السلام عليكم, إزيك يا بطة لو سمحت كنت عايز حبوب الإسهال أم اتنين جنيه ونص ودواء كحة أبو معلقة خضرا.

لم أفهم ماذا يعنى الرجل بهذه المصطلحات فكلامه كان أشبه بطلاسم بالنسبة لي....

أحسست بالبله، لم أفهم شيئا، نظرت إلى فاطمة التى قامت على الفور فالتقطت علبة *streptoquin استربتوكين ثم اتجهت إلى الأشربة لتلتقط علبة التوبلكسيل Toplexil ثم وضعتهما بالكيس وقالت:

- الحساب ستة جنيه ونص يا حاج.

بالطبع هذا سيدمر الخطة التى وضعتها للتدريب، لابد أن أضع فى الحسبان معرفة الأسعار و الشكل الخارجى للعلبة كما يجب أن أفهم لغة الزبائن...

بعد لحظات دخل إلى الصيدلية رجل كث الشعر واللحية ملابسه مهترئة وبالية وتنبعث منه رائحة كريهة جدا....

نظر الرجل الذى يبدو أنه رجل كهف إلى أنا، ثم أشار إلى بأن آتيه الناحية الأخرى بعيدا عن فاطمة.

بالطبع فطنت أنه يريدنى فى موضوع لا يتعلق بفاطمة، اقترب منى لدرجة كدت أن أفقد وعيى من أثر الرائحة والتى ازداد تركيزها فى خيشومي...

قال بصوت أقرب للخفوت:

- حبة زرقا أم خمسة جنيه

بـالطبع لـم أفهـم شـيئا، لاحـظ أننـى فـى بدايـة التـدريب و معرفتـى بكـل الأدوية تكاد تكون شبه منعدمة...

نظرت له فى غباء مستفسرا عما قاله كرر جملتة العميقة فى خفوت:

- حبة زرقا، أم خمسة، جنيه فيجا... عليها صاروخ .

فشلت فـى فهـم مقصـده، وهنـا لابـد أن اسـتعين بفاطمـة، و مهمـا يحـدث ولكن لن أظل جاهلا...

بأعلى صوتى ناديت على فاطمة وقلت:

- فاطمـة الراجـل ده عـايز حبـة زرقـا بخمسـة جنيـه عليهـا صاروخ....

رأيت عينـى الرجـل تتطـاير منهـا الشـرر، كـاد يفتـك بـى بعـد أن اسـتمر بالتحديق فى وجهى بغضب...

ناولتنى فاطمة الحبة الزرقاء لكى أناولها للرجل ولكنه لم يمهلنى, فقد انتزع منى الحبة, ورمى النقود فى وجهى وانصرف من الصيدلية قائلا فى غضب:

- حيوان!!

بالطبع لن أخبرك عن بـاقى السباب ولكنـه كـان مقذعا للغايـة، ولـم أفهم سبب غضب الرجل...

سمعت ضحكة فاطمة وقد راق لها أن يسبنى أحدهم فـى أول احتكاكى بميـدان العمـل، وجلسـت تقهقـه فـى شـدة مصـطنعة كأنهـا اسـتمعت إلـى عرض مسرحى هزلى ساخر أو شاهدت مهرجا يقوم بألعابه، استمرت فى الضحك قرابة ساعتين...

فهمت مؤخرا أن الفيجا هى بديل الفياجرا، ولكن هندية المنشأ، وهى مقوية جنسية. لقد تحاشى الرجل أن يتحدث إلى فاطمة بعد الموقف الذى حدث.. وقد تأثرت كرامته فكل رجل لا يحب أن يشترى مقويا جنسيا من أنثى.. لأنه يحب أن يظهر بطلا ليس فى حاجة إلى تلك الحبوب الزرق، الرجل لايريد أن يبين ضعفه أمام أنثى حتى لو كانت من طراز فاطمة، بالرغم مع أنها لا تمت للإناث بأى صلة، إلا فقط خانة النوع فى الرقم القومي.

رأيت فاطمة تلملم أغراضها استعدادا للرحيل, إذن هذا هو ميعاد انصرافها، حمدت الله فى سرى أنها سترحل وبعد لحظات جاء د.محمد ليستكمل الدوام.

جلست معه وحكيت له موقف الرجل الذى سبنى وجدته يبتسم ثم قال لى:

- لا عليك هذا يحدث معنا دائما، ولكن كن حذرا دائما لأن معاملة الناس تختلف من شخص لآخر، الناس تبع لعقولها, تتفاوت فى التعامل، **ليس كلهم يحملون نفس المؤهل العلمى، بل يختلفون تماما, وأغلب ما ستواجهه من مشاكل سيكون من الجهلاء و الأغبياء.**

وجدت كلامه منطقيا، العقول بالفعل تتفاوت، فلابد أن نفهم عقولهم أولا، كان فارق العمر بيننا يتجاوز الستة أعوام، ولكن كانت تربطنى به علاقة وثيقة أخوة، طلب منى أن أتدرب ليلا، وأخبرنى أن هناك فتاة أخرى تعمل ليلا ولكن خبرتها ضعيفة، حيث استطيع أن أعمل كما أشاء، كما انه الدوام الليلى يكثر فيه العمل والاحتكاك مع الناس. وافقت على الفور...

كلفنى هو بكتابة الأقراص و الأسعار والاستخدامات، استأذنت منه حيث اليوم كنت مرهقا وأبديت له سرورى بأول يوم أعمل فيه...

ودعته مبتسما ورجعت إلى منزلى وما لبثت إلا أن غلبنى النعاس بعد يوم حافل بالتعب والإنهاك فاستسلمت له فى تراخ عجيب.

3- وحدى فى الصيدلية

بدأنا مراجعة الدواء معا مع د محمد...

بالطبع لم أتعامل مع الزبائن، ولكنى كلفت بمعرفة كل صنف دواء و استخدامه وتدوينه فى مدونة تكون بجوار يدى ــ لا تزال تلك المفكرة لدى حتى يومى هذا ــ عامة قمت بعمل رائع وبذلت جهدا جهيدا...

و مسحت كل أصناف الدواء بعناية...

وبالرغم مع تركيزى فى الدواء، ولكنى كنت أراقب حركة الزبائن وحوارهم... و أدون عندى الأدوية المكتوبة، وبالرغم مع كل المشقة التى جنيتها ولكنى تعلمت قدرا لا بأس منه....

نسيت أن أحدثكم عن وجود مساعدة أخرى وهى لمياء فتاة عادية ترتدى نظارة طبية زرقاء تضيف غموضا لها، تتميز بقدرتها على الهدوء وهى لا تتحدث كثيرا...

إن الفتاة التى لا تتحدث كثيرا هى فتاة غير طبيعية أو أنها مصابة بالتهاب فى لسانها أو لديها مشاكل مع البلعوم...

وقد قيل يوما ما إذا وجدت فتاة لاتتحدث كثيرا ورجل يعترف بخطئه فقد قابلت أكثر الكائنات ندرة فى العالم...

وهذا بخلاف فاطمة التى تعشق الكلام بداع وبدون داع, لمياء خبرتها ضعيفة تعتمد أساسا على وجود د. محمد وتقوم هى بتنظيف الصيدلية من الغبار المتراكم....

و فى بعض الأحيان تضيف هى الغبار إلى الدواء...

ولكنها نشيطة جدا فهى تذهب وتجىء مرارا وتكرارا على مدار ساعات عملها و بالرغم من عدم جدوى ذلك ولكنى آمنت بأنها فتاة نشطة....

اتجهت أنا إلى المراهم والكريمات لكى أقوم بتدوينها...

ولكن ثمة صوتا داخليا يتردد فى داخلى....

هراء !!!!

كل ما تقوم به هو الهراء كيف تحفظ أصناف الدواء دون أن تتعامل مع الزبائن؟ والصيدلة هى ممارسة مع الزبائن ولكن دون الممارسة ستفقد حيوية العمل ويصير تدريبك بلا جدوى, لذلك اتجهت إلى المكتب وسحبت كرسيا وجلست بجوار د. محمد، نظر لى وقال:

- يبدو أنك لم تقتنع بما تفعله لأن جذوة النشاط التى كانت بداخل عينيك خبت فجاة.

نظرت له قائلا فى هدوء:

- أرى عدم جدوى معرفة كل الدواء، الأفضل لى أن أربطهم تحت تصنيفات لكى يساعدنى ذلك.

أوما برأسه ثم أخرج كتيبا صغيرا وأعطانى إياه, كان الكتاب يجمع كل الأدوية ويصنفهم مع كتابة الجرعات و الأسعار .

استطرد قائلا:

- هذا ما نطلق عليه index وهو دليل شامل لكل الدواء ولكنه وضع الدواء تحت تصنيفات ما عليك إلا ان تراجع التصنيفات وتنظر الدواء واستخدامه وجرعته، كنز ثمين بالنسبة لمن يبدأ حياته مثلك.

صحت فى سعادة:

- لماذا أخفيت عنى هذا index كان سيصنع فارقا معى سأراجعه ثم بعدها أحاول التعامل مع الزبائن.

قال لى فى هدوء:

- لن يمكنك الإحاطة بكل شى فى يوم واحد، ولكنه يتطلب الممارسة فقط استمرارك يضمن لك التميز.

وهكذا يوما بيوم التزمت الحضور والتدريب اليومى وصار لدى معرفة طيبة...

ولكن كان أصعب شئ واجهته هو قراءة الوصفات والروشتات الطبية بسبب الخط المعقد الذى كنت أجده دائما فى أغلب الوصفات، فشلت عدة مرات فى قراءة أى وصفة طبية كانت تمر بى ولكن بالاستمرار سأتعلم.. كنت أخبر نفسى بذلك لكى لا أستسلم لليأس وهكذا صرت التزم بميعادى الدائم فى الصيدلية.. وصار لدى خبرة بسيطة ولكنها تؤهلنى للتعامل والوقوف بالصيدلية دون مساعدة أى شخص.

ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن, فقد حدث ظرف طارئ لدكتور محمد وطلب منى أن أحل محله وأخبرنى أنه لن يغيب أكثر من ساعتين، تلقيت الأمر بصدر رحب.

قال لى:

- لا تعتمد على لمياء فخبرتها تكاد تقارب الصفر ولكن إذا ما صادفك أى شئ فلا تردد بالاتصال على هاتفى الجوال.

كان وقتها دقيقة الهاتف الجوال تقارب الجنيه ونصف، وبالتالى فلن أتصل عليه وكانت شركة كليكClickقد غيرت اسمها إلى فودافون Vodafone ما علينا من كل هذه التفاصيل ولكن أردت أن أقول إنى لن أتصل به لأن دقيقة الهاتف كانت غالية أيامها...

وقفت فى الصيدلية كالصقر منتظرا الزبائن على أحر من الجمر، لم يدم الانتظار للحظات حتى وجدت باب الصيدلية ينفتح ويدخل رجل يرتدى قبعة تجعله أقرب إلى رعاة البقر الأمريكان.

ابتسم فى ود وسأل:

- لو سمحت ممكن ابعت فاكس ضرورى.

أجبته فى هدوء:

- للأسف هذه صيدلية وليست مكتبة, فيه مكتبة على ناحية اليمين خلال خمسة دقايق ممكن توصلها.

سأل الرجل فى غباء:

- وليه مافيش فاكس عندكم؟

ضغطت على أسنانى فى غيظ:

- لم تكف ميزانية الصيدلية لشراء فاكس ولكن خلال الفترة القادمة سأعدك بشراء فاكس وتليفيديو أيها السيد.

همهم الرجل بكلمات غير مفهومة ثم انصرف فى حنق, ارتميت على أقرب مقعد لى ثم وجدت أمامى سيدة مسنة تمشى ببطء شديد وظهرها منحنٍ وتستند على عكاز خشبى:

سألتنى السيدة:

- عندكم صابون بريحة يا ابنى؟!

رددت عليها:

- نعم يا خالة عندنا صابون بريحة فيه لوكس وديتول و زيست...

قاطعتنى فى نفاد صبر:

- عندكم صابون صن لايت عايزة واحدة صن لايت.

قلت وأنا ابتسم لها:

- صابونة صن لايت موجودة عند البقال يا خالة ولكن هذه صيدلية...

قاطعتنى للمرة الثانية فى عصبية:

- خلاص.، هات أى حاجة بسرعة...

أحضرت صابونة ديتول خضراء كبيرة وناولتها.

سألتنى بصوت عال:

- كام حسابك؟

- خمسة وسبعين قرش يا حاجة.

نظرت لى فى انزعاج وصاحت فى غضب:

- ليه 75 قرش صابونة صن لايت قدها مرتين وبخمسين قرش.، ولا أنتم غاليين وعايزين تسرقونا.

قلت لها فى نفاد صبر ومجاملة مصطنعة:

- خلى عنك خالص يا حاجة ما تدفعيش فلوس خليها على.

رمقتنى فى غضب و صاحت فى عصبية:

- ليه فاكرنى شحاتة خد فلوسك وده آخر مرة أعتب بابكم تانى...

انصرفت السيدة المسنة وهى تلعننا فى صوت مسموع أخترق آذنىَّ ولكن كالمعتاد لاألقى لها بالا....

لا أخفى عليكم أصبت بخيبة أمل فهذه النوعية ستقابلها يوميا ولابد أن تملك أعصابا فولاذية ولاتنس أن تضغط على زر ضبط النفس وإلا سينتهى بك الحال فى سجن أبو زعبل.

بعدها بقليل دخل زبون آخر الصيدلية يحمل وصفة ناولنى إياها...

دون أن يتبادل معى أى كلمة....

أمسكت الوصفة كان بها دواء واحد ولكن الخط كان غير مفهوم بالمرة لم أتبين منها غير حرف D ثم لا أعرف الحرف الثانى يمكن أن يكون حرف a أو حرف u ثم جرة خط هذا هو حرفان أول حرف تعرفه والثانى لا وخط أفقى بعدهما

هذا الطبيب لابد أن يأخذ المركز الأول فى مسابقة أبشع الخطوط....

ولو كان يحيا فى عصر القدماء لكان بلا منازع كاتب الديوان الفرعونى....

إنى بحاجة إلى شامبليون آخر لكى يفك طلاسم تلك الوصفة, ناديت لمياء التى تظاهرت بأنها منهمكة فى تنظيف الرف لكى تلقى نظرة على تلك الوصفة الميمونة...

هذا الخط لايشابه أى خط بشري, هذه الوصفة قادمة إلينا من كوكب الزهرة.... أو أن كاتبها لم يتح الوقت له لكى يستكمل الكتابة...

أومات برأسها نفيا ونصحتنى بأن أذهب إلى الرف وأخرج منه الدواء.

يا لكِ من متحذلقة!! لو كنت أعرفه لما احتجت إلى نصيحتك الغالية...

لا أدرى لماذا يكتب الأطباء الوصفات الطبية بهذا المقدار من السوء؟! هل هذا هو معيار حصوله على الدكتوراة؟! أو أنه يريد تعجيز الذى يقرأ أمامه وإظهاره بصورة الذى لا يعرف شيئا....

نظر الينا الرجل فى ارتياب وقد هاله ما يحدث أمامه وبالتالى طول الوقت الذى استغرقناه فى قراءة الوصفة.

سألنى بصوت مرتاب:

- الروشتة فيها مشكلة؟
- أبدا بس الدكتور كتبها بخط غير واضح.
- يعنى عارف تقراها ولا لأ؟

ترددت لحظة ولكنى أجبت:

- عارف اقراها طبعا.

نظر لى نظرة فهمت من مغزاها أنه مكذب لكلامى وقال:

- طب سيادتك مستنى إيه؟ تتصور جمبها ولا تأخد لها صورة, لو سمحت خلصنى ممكن بعد إذنك؟

هذا الرجل يتعارك مع ذباب وجهه، ولو لم نحسن التصرف أمامه سنصير ذكرى لذلك يجب حسن التصرف...

انصرفت إلى الأقراص وأخذت أبحث ببصرى حتى وجدت دواءين ينطبق عليهما الشروط DUSPATALIN دوسباتالين,والآخر كان DUPHASTON دوفاستون, نفس الشروط ولكن واحد منهما هو المطلوب من هما يا ترى؟ هل أقيس طول الخط وأحسب كم حرفا يمكنه أن يفى بالغرض، ترددت كثيرا وكثيرا، وفى الآخر استفتيت قلبى فارتحت للدوسبتالين DUSPATALIN...

فالتقطته وناولته للرجل الذى لا يزال يرتاب فى أمرى.

سألنى بصوت غليظ:

- الدواء ده بتاع إيه؟

- الدوا ده بيعالج المغص وتهيجات القولون.

أجبت بكل ثقة ولكن الرجل صار أشبه بدب قطبى فزمجر فى غضب وعيناه تحولتا إلى شعلتى لهب أحمر.

- ادينى الروشتة حالا, خلينى أخرج من المكان ده.

بالطبع لم اعترض ناولته الوصفة فخطفها منى ثم قال بصوت هادر:

- شوية أغبياء ملهمش فى الطور ولا فى الطحين .

لم أفهم تلك العبارة ما بال الطور وما بال الطحين ليس بينهما علاقة بتاتا...

نظرت إلى لمياء التى وقفت بدورها تبكى و قد أزعجها أن تتلقى السباب من أحدهم وهى لم تقترف ذنبا غير أنها متواجدة معى وهذا برأيى ذنب أعظم من ذنب نيرون الذى أحرق روما...

ولكن لا بأس يا عزيزتى فوجودى معكِ أثناء فترة تدربى سيجلب لكى الإهانة واللعنات يوميا وقد تصابين بلكمة فى عينيك اليمنى ولكن هناك ثمن لكل شئ...

إذا أردت أن تحصد الورد فعليك أن تستحمل لمس أشواكه...

سحبت مقعدا وارتميت عليه وأغمضت عينى لكى أرتب أفكارى مرة أخرى و آثار الموقف السابق مازالت داخل ذهنى.

اقتربت منى لمياء وقد اعتقدت أنى تأثرت بما حدث ولكنى كنت أعيد ترتيب أفكارى حتى لا أقع فى نفس الخطأ مرتين, تكلمت لمياء فى ود:

- مش مشكلة يا دكتور أحمد أنت لسه فى الأول وبالممارسة هتتعلم.

لمياء تلعب دور الناصحة المشفقة وغالبا ستجد أغلب الفتيات يلعبن ذلك الدور تأثرا بالدراما المصرية التى قدمت العديد من النماذج الرائعة مثل فاتن حمامة وزهرة العلا والعديد... عندما يشفقن على أحد يقدمن النصائح الغالية التى تودى بصاحبها إلى الهلاك على غرار:

حاول مرة أخرى

لا تيأس

انـت لاتـزال بكامـل قـواك فلتعـد إلـى أرض المعركـة, ومازلـت شـابا والطموحات أمامك

كنت أريد أن أخلو بنفسى ولذلك قلت لها فى ود مصطنع:

- ممكن يا لمياء كوب شاى علشان دماغى مش مظبوطة.

انصرفت وقد ضايقها الأمر....

ولكنـه تظـاهرت بعـدم الانتبـاه لضـيقها المرتسـم علـى وجههـا, الحـين أخطأت عندما قلت للرجل أنى أعرف الوصفة...

لن يضيرنى أبدا لو صارحت الرجل بعدم معرفتى للأمر....

ولن ينقص منـى شـئ إذا أخبرتـه بـأن الـدكتور محمد لديـه ظـرف طـارئ وسيرجع بعد ساعة.

المسئولية تقتضى على بألا أصرف شيئا إلا إذا كنت متأكدا منه، ولكن بهذه الطريقة سأخسر الكثير, لابد من إعادة الاوراق عزمت أننى لن أفعل شيئا إلا إذا كنت مقتنعا بصحته...

كانت لا تزال عيناى مغلقتين ثم سحبت شهيقا عميقا.. ورفعت يدى هذه أفضل وسيلة للاسترخاء لكى تجدد نشاطك.. ثم أخرجت زفيرا ببطء.. ثـم سـحبت شـهيقا عميقـا.. ثـم وقفت فجـأة.. وجلسـت.. و فتحـت عينـى ووجدت أمامى فتاة انتفضت من جلستى وقمت مذعورا لم أكن أتخيل أن يوجد أحد بالصيدلية لابد أنها تمشى بهدوء للحد الذى لم تلتقط أذنى صوت خطوات أقدامها...

ضحكت ضحكة خفيفة عندما رأتنى انتفضت من مكانى...

قلت لها:

- أعتذر ولكن كنت أقوم بجلسة استرخاء.

ابتسمت فى ود وقالت:

- مافيش مشكلة خالص, أمال فين دكتور محمد؟

أجبتها:

- مشوار صغير وخلال ساعتين يكون موجود إن شاء الله.

- طب أنا كنت عايزة كريم تفتيح للبشرة بس ما يكونش بيعمل حساسية, ويكون فعاليته كويسة.

نطقت عبارتها فى رقة تحسد عليها.. أذابت قلبى وكأنه قطعة من الشمع تنصهر بفعل حرارة الفتيل.. تخيلت الممثلة شيرين فى مسرحية المتزوجون وهى تنطق لفظة الصرصور....

هذه الفتاة تتحدث بنفس الطريقة. شردت فى تخيلاتى لحظاتى وأفقت على صوت لمياء التى تحب تلعب دور الناصح الاستراتيجى، كانت خارجة من المعمل وهى تحمل صينية بها كوبان من الشاى الثقيل...

- خدى فير اند لافلى واخلطى عليه بيتاديرم هينور وشك ده خلطة باستخدمها أنا شخصيا.

كدت أن أهنئ لمياء على ما قالته فإضافتها الأخيرة قطعا هى تأكيد لبشاعة الخلطة...

وهذا كفيل بأن الفتاة لن تستمع لنصيحتك.

نظرت الفتاة إليها فى استياء واضح وقالت:

- أنا عايزة كريم من اختيارك يا دكتور...

ردت لمياء فى سرعة:

- اسمه أحمد وهو لسه بيدرس فى الكلية.

هذه ال لمياء تحتاج إلى صفعة على وجهها، لم أطلب منك تقديم السيرة الذاتية لحياتى ولكنها أرادت أن ترسل رسالة: ليس لديه خبرة مسبقة لن يفيدك بشئ.., والمثل يقول أسال مجرب ولاتسال حكيم بالطبع, تركتهما و ذهبت إلى جهة الكريمات التقطت كريم quinol 4% كريم يحتوى على مادة hydroquinone تركيز 4 بالمائة وناولته للفتاة وأنا أقول لها:

- ادهنى من الكريم مرة مساء قبل النوم, ثم اغسلى وجهك بصابون طبى فى الصباح انتبهى هذا الكريم لا يدهن صباحا.

قالت لى فى رقة ليس لها مثيل:

- شكرا جزيلا لك إذا كانت نتائجه جيدة فسوف أنصح زملائى بالذهاب إليك.

ثم نقدتنى سعر الكريم وانصرفت, كانت لمياء منزوية فى ركن و بعد انصراف الفتاة.

سألتنى لمياء فى تبرم:

- ليه يا أحمد ماطلعتش الفير اند لافلى مع البيتا هيعملوا شغل حلو جدا أنا نصحت بنات زمايلى كتير واستخدموا الخلطة ووشهم ابيض من الخلطة.

ارتشفت رشفتين من الشاى الساخن الذى كان أمامى وبالرغم مع أن طعم الصابون لايزال متواجدا به والكوب كان متسخا إلا قليلا ولكنه فى نهاية الأمر شاي.

قلت لها وأنا أحاول أتناسى الطعم اللاذع للشاى:

- عزيزتى أنتِ تعرفين غيرة الفتيات من بعض هى لا تريد أن تستخدم نفس الخلطة التى تستخدمينها من باب عدم التقليد لا أكثر.

مطت شفتيها السفلى وقالت:

- أضاعت على نفسها فرصة ذهبية لقد أخبرنى كل من استخدم تلك الوصفة على فعاليتها العالية.

نظرت لها وقلت:

- بالطبع والدليل يقبع أمامى ويرتسم على ثنايا وجهك المنمق.

التفتت إلى وصاحت فى مكر:

- هل اعتبرها مغازلة أم تحرش لفظى؟

قلت لها وقد نجحت فى إثارة غيظى:

- لا هذا ولا ذاك مجرد مجاملة أو إطراء فقط لا أكثر حتى لاتصابى بالإحباط.

بعدما أنهيت عبارتى اندفع الدكتور محمد إلى الصيدلية وهو يعتذر للتاخير متعللا أن سيارته تعطلت وانه انتظر حتى وجد سيارة تقله إلى هنا أخبرته بما حدث بالطبع استفدت من اليوم بعدة دروس وهذا جعلنى أواظب يوميا على المجئ والتدرب....

***

أمضيت قرابة شهرين أتدرب وأتعلم وأدون كل ما يمر بى من دروس حتى تعلمت كما لا بأس به...

تعلمت بعض المصطلحات الشعبية:

اللفظ	المعنى
تعنية	تعنى اسهال مع مغص ولكن قد لايكون هناك تبرز
أنبوب حريق	كريم لعلاج الحروق
مصران أعور	التهاب زائدة دودية
صداع مكلبش فى حتة واحدة	صداع نصفي
ألم فى الخاتم	حكة فى فتحة الشرج وقد يكون بواسير
ودانه بتصفر	طنين
بيهر	عنده اسهال
بطنه مقفولة	عنده امساك
شراب كحة عليه معلقة	Toplexilشراب لسعال
كرشة نفس	أزمة تنفسية أو ربو شعبي
شريط بتاع كرشة النفس	ايفانول
حبة عين الكتكوت	أنافرانيل 25 Anafranil 25
حبة صداع سريع	باى الكوفان- باى بروفنيد – نوفالجين أبولنج مسكنات للصداع

الـــواد بطنـــه بتكركر	عنده غازات وانتفاخات
مس أزرق	جنيانا- gentian violet - مطهر
يوم الخميس	ضعف انتصاب
مس أحمر	ميكركروم
عنـده تقـل فـى البول	صعوبة فى التبول
عنـده تقـل فـى البراز	لا يمكن التبرز بسهولة – إمساك
جســمى ناشــر عليا	آلام فى جميع الجسم ويكون مصاحبا بخمول
طرشت	ترجيع
استفرغت	ترجيع
استنطقت	ترجيع
عين سمكة	مسمار قدم – كالو -
عنـدها مـس مـن الجن	تعانى من أزمة نفسية
اللوز نزلت	التهاب فى اللوز
اللوز طلعت	برده التهاب فى اللوز
قرنها طاش	نزول مياه من aminotic fluid الذى يحيط بالجنين دليل على بداية الحمل
حبوب الوحم	Navidoxine وبدائلها
حرقة قلب	حموضة
برطمان رطوبة	قارورة تحتوى على كريم لعلاج العظام مثل الفيكس
واوا – تعويرة	جرح تقال الاطفال الصغار مشتقة من كلمة

	فرعونية

كما لاحظت بعض العادات الغريبة مثلا:

اذا وقع أى سن من الأسنان وخاصة لدى الأطفال عند تساقط الاسنان اللبنية فإن الطفل تحت رعاية أهله يقول:

يا شمس يا شموسة خدى سنة الجاموسة وهاتى سنة العروسة.

لا أدرى من العبقرى الذى اخترع تلك الترنيمة، فهذا اعتراف دون رجوع فيه أنه قد مر بمرحلة كان فيها كالجاموسة...

ترنيمة أخرى تعلمتها من بعض الناس:

عند ظهور مسمار القدم فى القدم أو فى اليد فإنه يمسك بفرشاة ويقوم بفرشها ثم يردد بصوت راهب وخاشع:

هل الشهر وراح كان فيه سنط وراح

بالطبع لا أدرى مدى مقاومة مسمار القدم لذلك الترنيمة ولكنها كانت تؤتى ثمارها لمن طبقها لمدة عام مع التوجه للقمر فى الليل.

وسمعت من آخر أنه طبقها لمدة عام ونصف فذهبت ثم رجعت مرة أخرى وفسر رجوعها لانه لم يكن يتوجه للقمر...

مرة أخرى عادة فشلت فى تفسيرها إذا ولدت سيدة وصارت نفساء.

فإن أى امرأة أخرى لديها الدورة الشهرية لا تملك صلاحية الدخول عليها وإلا سوف تنكبس النفساء ولن تستطيع إرضاع الطفل، بالطبع هذا

الهراء متواجد بكثرة وهنا من أوحى لهولاء الناس بمثل هذه الخزعبلات إلا من باب التشاؤم والطيرة...

عند مرور سيارات الرش بالمبيدات الحشرية فإن الاطفال سرعان ما يقومون بالركض خلفها ظنا منهم أن هذه الغازات تدعم المناعة.

كانت خلفيتى الطبية على ما يرام...

ووجد د. محمد فى أنه يستطيع أن يتركنى لحالى فى العمل بل طلب منى أن أشاركهم العمل....

وأتولى دواما ليليا يبدأ من الساعة الثمانية ونصف حتى تمام الساعة الثانية ونصف بعد منتصف الليل ستة ساعات....

هو مدة دوامى الجديد فى صيدلية تقع فى حى شعبي...

فى بداية الأمر ترددت ولكنى وافقت لحاجتى إلى التعلم وزيادة الخبرة بالإضافة إلى حصولى على مبلغ نقدى سيكفل لى شراء أغراض جديدة...

ولا سيما الدراسة ستدق أبوابها بعد شهر من الآن ها أنا فى مواجهه ليلية مع الدوام منتظرا بشغف.

3-أول يوم دوام

ارتديت بنطالى الجينز الأزرق و التى شيرت الأبيض وانطلقت ناحية الصيدلية كنت متأنقا كعادتى مصففا شعرى للوراء سحبت شهيقا عميقا ثم ذهبت إلى الصيدلية كانت تبعد عن بيتى مقدار ربع ساعة مشيا على الأقدام وصلت إلى الموقع و فتحت باب الصيدلية و ألقيت التحية على الدكتور محمد و لمياء ثم رأيت الأول ينصرف من الصيدلية ذاهبا إلى البيت نظر لى ثم قال عبارته المعتادة:

- إذا صادفك شئ صعب لا تتردد بالاتصال على.

ورددت بدورى:

- بالتاكيد ساتصل عليك إذا واجهت شيئا صعبا.

نظرت إلى لمياء كان أمامها نصف ساعة وترحل من الصيدلية ابتسمت لها فى خبث ثم قبل أن أتكلم قالت لى فى تبرم:

- كوب شاى من فضلك يا لمياء أليس كذلك؟

لم أتوقع منها أن تقرأ أفكارى بهذه السرعة.

- ما شاء الله عليكِ نبيهة كمان !!!

مطت شفتها السفلى ثم قالت فى امتعاض:

- لا أبدا بس ده روتين متعود عليه سيادتك يوميا من ساعة ما شرفت الصيدلية.

ذهبت هى إلى المعمل لكى تحضر الشاى وجلست أنا على المكتب انفتح باب الصيدلية مصدرا صوته المزعج ودخل شاب يدخن أشرت له بأن ممنوع التدخين قال:

- سانصرف على طول عايز شراب برنكوفين Bronchophen هو هناك على اليمين.

هذا الزبون يعلم مكان الشراب جيدا وهذه دلالة على أنه يقتنيه يوميا فهل يعانى من سعال مزمن بالصدر...

تركته وذهبت إلى جزء الأشربة والتقطت الشراب بين أناملى وناولته الشراب وأمام عينى الذاهلتين فتح الشراب وجرعه جرعة واحدة كأنما يشرب مشروبا غازيا, أو كوبا من عصير القصب, لا يحتاج الأمر الكثير من التفكير هذا الشاب يدمن هذا المشروب ويشربه يوميا جرعة واحدة لكى يصل إلى درجة من التخدير أو غياب العقل الذى ينشده...

أغلب هؤلاء الشباب يعتقدون أن سبب شقائهم على الأرض هو أن يستمر عقلهم بالتفكير...

ولذلك يلجأون إلى تكميمه وتقييده والخروج من مداره اليومى, الحل بالطبع هى أن أخبأ كل مخزون البرنكوفين داخل المخزن أو المعمل حتى لا يأتى شخص آخر ويقوم بنفس الفعلة المشينة.

حملت كل كمية البرنكوفين المرتبة فى الرف وأخفيتها بالداخل، كانت لمياء قد انتهت من تحضير كوب الشاى الخاص بى.

سألتنى فى حيرة:

- لماذا تخفى البرنكوفين داخل المعمل؟!

حكيت لها ما حدث من الشاب الذى جرع الشراب دفعة واحدة.. أخبرتنى أنه زائر غير دائم يأتى كل أسبوع مرة ودائما يأتى ليبتاع البرنكوفين. استاذنت للانصراف وتركتنى...

ارتشف رشفات من كوب الشاى الممزوج بالصابون السائل:

بعدها بلحظات دخل شاب وهو يبتسم فى ود ثم قال فى حركة مسرحية:

- مرحبا ايها الصيدلى الصغير.

نظرت له فى تعجب فاستطرد مكملا:

- -أنا ممدوح جارك فى محل الموبايلات اللى جمبك حبيت أمسى عليك أنا باقفل المحل الساعة 1 بالليل، لو احتجت أى حاجة نادينى على طول. أسيبك دى الوقت علشان سايب المحل لوحده.

انصرف ممدوح الذى يعمل فى محل الجوالات الذى بجوارى هو محل لبيع الاكسسوارات الجوال وعنده كبائن للاتصال، وهو فى رأيى مسالم كالقط المنزلى الأليف، وديع مثل كنغر تم اقتناؤه من غابات استراليا بالطبع سيمر عندى ويثرثر معى وبينما وأنا غارق فى شرودى رأيت فتاة أمامى فى عقدها الثانى ترتدى عباءة سوداء وحجابا أسود كانت عيناها منتفختين وحمراوين من أثر البكاء ووجهها يعلوه شحوب إثر ذكرى مؤلمة كان يبدو أنها تعانى من حادث أليم....

قالت فى صوت أقرب إلى البكاء:

- لو سمحتِ يا دكتور عايزة منوم.

قلت لها:

- حضرتك محتاجة منوم انتِ لسه صغيرة علشان تاخدى منوم.

وجدت عضلات وجهها تقلصت و ارتسم على حاجبيها علامة سبعة المشهورة, من شاهد فيلم سنووايت والأقزام السبعة كان سيرى تلك العلامة المميزة عندما سألت الملكة الشريرة المرآة من هى أجمل امرأة فى الكون؟

وبالرغم مع معرفتها للإجابة مسبقا فقد فؤجئت برد المرآة الساحرة أنها سنووايت فارتسمت علامة سبعة المشهورة على حاجبيها, بالتالى توقعت أن تقول لى:

هذا ليس من شأنك، أيها المتطفل ولا تتدخل مرة أخرى فى شئونى.

ولكنها قالت فى خفوت:

- لا أستطيع النوم.. عاجزة عن النوم.

استعطفنى أسلوبها وأحسست بالشفقة تجاها فأجبته:

- علشان دماغك مشغولة فى التفكير لازم تحاولى إيقاف التفكير أو انسى أى ذكرى مؤلمة.

لم يمض ثوان على كلمتى حتى وجدتها انفجرت بالبكاء وانهمر سيل الدموع من عينيها وارتفع النحيب مع التمخط بقوة, خيل لى أنها قد فقدت شخصا عزيزا لديها...

وقفت عاجزا عن مد يد العون لها إلا من إعطاء منديل لها لكى توقف المخاط الذى سال من أنفها...

وانتظرت حتى تنتهى من نوبة البكاء التى أصابتها...

قالت لى وصوتها لا يزال يعانى من أثر البكاء:

- لقد فقدت شيئا عزيزا, مات أعز حاجة عندى.

ثم استرسلت فى البكاء مرة أخرى، أغلب الفتيات يجدن الراحة فى البكاء باعتباره تنفيسا عن همومهم و آلامهم.

ومن هنا تم الربط بين النكد والسيدات، فالسيدات مرهفات الحس رقيقات المشاعر إذا أصابت إحداهن مشكلة ولم تستطع حلها فسوف تبادر بالبكاء لعلها تجد حلا لهذه المشكلة, وإن كانت مشكلتها هينة مثل ألا تجد مكانا فى موقف السيارات لتصطف سيارتها هناك وإن لم يكن لديها سيارة من أساسه...

أو أنها قد اكتسبت كيلوين إضافين جراء التهامها وجبة دسمة بالرغم من تجاوز وزنها المائة الكيلو جرام, فعلا لا يمكنك فهم النساء، لديهن طبيعة من الصعب فهمها حتى أن عقليتها تعجز عن فهم ماذا تريد طبيعتها؟

عامة وجدت نفسى أقول لها فى حزن لكى أواسيها عن فقدانها للعزيز:

- ماعلش ما تزعليش وهى الدنيا كده وربنا يصبرك على فقدانه ويلهمك الصبر والسلوان.

نظرت لى فى حزن شديد وقالت:

- ما تعرفش يا دكتور غلاوته عندى كان زى أخوى وأكتر.

- هو مات أمتى الغالى؟

- من يومين يا دكتور.

اعتدلت فى وقفتى وسألتها:

- هو فين العزا علشان أروح أعزى.

بالطبع هو واجب ولابد للجار أن يواسى جاره، ويكون معه فى الحزن والفرح والأيام دول يوم حزين ويوم سعيد، ولكن دائما اليوم الحزين يسود ولاتجد يوما سعيدا إلا يأتى الحزن ليفسده،

نظرت لها فوجدتها تسألنى فى غباء:

- عزا مين اللى انت عايز تروحه؟

يبدو أنها أصيبت بألزهايمر تاثرا بفقدانها للغالي.

أجبتها فى نفاد صبر لأنى أكره الغباء:

- عزاء الشخص الذى أطار النوم من عينيكِ يا عزيزتى.

وجدتها تبتسم ثم انفلتت منها ضحكة، لابد أنها أصيبت بالجنون جراء هذا الحادث أو أنها لقلة النوم قد منيت بالعته.

قالت فى مرح:

- الذى فقدته هو طائرى الأليف، وليس شخصا بعينه، وجدته ميتا فى قفصه.. أنت ظريف قووى.

تجمدت فى مكانى لحظة بعدما سمعت كلماتها المستفزة، شعرت بمدى الحمق الذى أصابنى بينما كنت أواسيها ضغطت على أسنانى من الغيظ ومستخدما زر ضبط النفس وإلا كنت وجدت نفسى أوجه لها ركلة لكى ألقى بها خارجا...

قلت لها فى حنق:

- عصفورك مات وهو ده اللى مؤثر على سيادتك؟!

أومأت موافقة على كلامى فأكملت:

- ومحتاجة منوم علشان تنامى؟

ردت على كلماتى:

- نعم محتاجة لمنوم أو مهدئ عصبى.

قلت لها بصوت عالٍ وبنبرة لا تخلو من الصرامة:

- تصدقى انك هايفة جدا.

نظرت لى فى غضب وصاحت:

- انت بتقول إيه؟

قلت لها فى حزم:

- أقصد انك مرهفة الحس, عامة الأمر مش محتاج منوم، الأمر أكبر منى ومنك.

انزعجت من كلامى ثم قالت فى اضطراب:

- أعمل إيه أنا دى الوقت؟

قلت لها فى سخرية:

- الحل انك تعملى جنازة تليق بالمرحوم وتعزمى الدجاج والبط والديوك وأغلب الطيور اللى تعرفيها وبعدها هتشعرى بطمأنينة و هتعرفى تنامى بجد.

صاحت فى عصبية:

- حضرتك بتسخر منى؟! تصدق أنى غلطانة ولما أشوف دكتور محمد هاشتكيك له.

انصرفت من الصيدلية هذه الفتاة تعانى من فراغ رهيب لدرجة تطور علاقة بينها وبين طائرها الأليف لم تتخيل فقدانه ولم تتحمل، هذا مما زداها اكتئابا ولكن ماذا يحدث لو فقدت هى ساعة ثمينة؟ أو فقدت زوجا من جواربها العتيقة؟ أو أنها قد خسرت أموالها بالبورصة والأسواق المالية؟ بالرغم مع أن أموالها لاتجاوز شراء سهمين من السكر أو مسحوق الخبيزة.

دقت الساعة الثانية عشرة منتصف الليل، وهنا أحسست بألم يعتصر معدتى، لابد أنه الجوع وحيث يتواجد مطعم قريب من الصيدلية فسوف أذهب له لأبتاع بعض الشطائر, لم أكذب خبرا ذهبت إلى هناك واشتريت شطيرة من الفلافل وأخرى من البطاطا المقلية نقدت الرجل سعرهما ورجعت للصيدلية لكى أستكمل دوامى الليلى.

ألقيت نفسى على المكتب لأتناول عشائى، بدأت ألتهم شطائرى فى نهم ما هى إلا لحظات ووجدت باب الصيدلية ينفتح ويدخل رجل رث الملابس لغته خالية من أبسط قواعد اللياقة والأدب والذوق صاح بصوت غليظ:

- اقفل يا كابتن الصيدلية علشان فيه خناقة وعركة كبيرة هتحصل.

ثم انصرف على الفور, بالطبع لم أكترث لكلامه، ثانيا الجو هادئ ولا يوجد ما يعكر صفوه, ثالثا أنا اتناول عشائى وأكره أن أقوم قبل أن أكمل وجبتى....

مرت نصف ساعة ولم يحدث شئ ولكن حركة مريبة أثارت قلقى فقد رأيت سبعة رجال مجتمعين معا فى ناحية وعلى الجانب الآخر يوجد خمسة رجال ما أثار هلعى بحق هو الأسلحة البيضاء التى كانوا يحملونها من طراز السيف والخنجر والسنجة ــ سيف له حدود متعرجة ــ رجل من كل ناحية يتجه للآخر ثم يحدث ما يسمى بمراجعة حساب، وهى على ما اعتقد مناقشة الأسباب التى أدت إلى تلك المعركة ثم اقتناع الطرفين أن الخطأ متبادل, يتعالى السباب المقذع والإهانات المتبادلة, يمكنك أن تسمعه من مكانى ثم يحدث الالتحام صوت صليل السيوف يتعالى بالخارج, وصوت صراخ النساء على شاكلة: وامصيبتاه, والغوث الغوث و يا لهوى وغيرها من الألفاظ التى تشعرك بمدى الفاجعة....

بالطبع لم أكن مسرورا بما أراه، فهذا انتهاك لحرمة الدم, ثم فجأة أجد قالبا من الطوب الأحمر يخترق زجاج الصيدلية فيتناثر داخل المكان انتفضت بعنف وأسرعت أغلق الباب الحديدى الخارجى وأكتفى بالاستماع لما يحدث بالخارج، نصف ساعة مرت ولايزال القتال مشتعلا وصوت الصرخات يتعالى:

أنا هوريك يا ابن...

يا ولاد.، هاشرحكم كلكم

وغيرها من الصيحات الاستنكارية و الكلمات الثورية التى تشعل حماة الوطيس فى المعركة...

وأنا حبيس بالداخل ولكن التقطت صوت أبواق عربات الشرطة التى استيقظت كالعادة متأخرة، ترددت فى فتح الباب الحديدى ولكنى استجمعت شجاعتى وفتحته....

كان أمام عينى الطريق خاليا من المارة وسيارتان من الشرطة تجوبان المكان ذهابا وإيابا، مرت ربع ساعة وغادرت سيارة الشرطة المكان، كان الوقت يشير على الواحدة بعد منتصف الليل، نظرت إلى الزجاج المهشم بحسرة وأخرجت مكنسة وقمت بتنظيف المكان لكى لا ينجرح أحد جراء الزجاج المبعثر على أرضية المكان...

ما هى إلا لحظات واندفع نحوى خمسة أشخاص داخل الصيدلية كانوا بالطبع هم ضحايا المعركة كانت الدماء تنزف منهم، ورائحة العرق تنبعث منهم كرائحة فأر وافته المنية من شهر...

اقترب كبيرهم وقال فى صوت غليظ:

- غير لهم على الجروح ده يا دكتور ولا يهمك فى المصاريف.

امتقع وجهى وأدرت بصرى ناحيته وأنا أردد:

- الجروح دى عميقة يا معلم والنزيف مستمر أنصحك توديهم للمستشفى علشان يخيطوا الجروح وهياخدوا الرعاية الكاملة.

يبدو أنه لم يقتنع بكلامى وأراد أن يقول: وفر نصائحك لنفسك فأخرج من جيبه خنجرا كنوع من التحذير والتهديد فى آن واحد ثم زمجر ككلب يجهز على ضحية ما:

- انت عارف المستشفى سين وجيم وشرطة وحكومة واحنا مش عايزين شوشرة وانا هبحبحها معاك فى الفلوس.

ثم أخرج ورقة مالية من فئة الخمسين جنيها كانت أيامها مبلغا محترما، وبغض النظر عن أى شئ أجد نفسى مضطرا لتغيير وتطهير جروحهم وإلا سأنال طعنة خنجر فى ظهرى.

أخرجت علبة البيتادين وجعلتهم يصطفون صفا وراء بعضهم وقمت بتطهير الجروح بالبيتادين ثم وضعت مرهم GARAMYCIN كان سعره جنيهين ونصف وانهمكت فى تضميد جروحهم قرابة النصف ساعة كانوا أربعة رجال مصابين بجروح غائرة فى المرفق والساعد والكتف، كانت معركة شديدة ثم بعد انتهائى من العمل اقترب الكبير وقال:

- دكتور ولا كأنك شفت حاجة.

وثم أخرج ورقة مالية من جيبه ووضعها فى جيبى كما كنا نحاسب الحلاقين بعد انتهاء حلاقة الرأس وصاح فى غضب:

- عرقك يا دكتور علىَّ الطلاق ما هى راجعة.

انصرف الكبير بعد ما نقدنى مبلغا، أخرجت المال من جيبى فوجدت ورقة من فئة العشرين جنيها، ولكن ما أزعجنى بحق هو رائحة الصيدلية الكريهة وكأن ماسورة من مياه الصرف الصحى انفجرت داخل الصيدلية، أسرعت إلى الباب لأفتحه على مصراعيه، وثم أخرجت ثلاث علب من معطرات الجو واستنفدتهم تماما لكى أتخلص

من تلك الرائحة العالقة، بالطبع كانت أرضية المكان ملوثة بالطين والدماء لن أستطيع أن أفعل يئا حيال ذلك، بالطبع سأتركه تذكارا للعزيزة فاطمة لكى تنظفه فى الصباح....

لحظات ورأيت ممدوح قادما نحوى دخل الصيدلية، نظر إلى الأرضية وقال لى ساخرا:

- إيه هى الخناقة كانت شغالة عندك ولا ايه؟!

قلت له:

- لا أبدا كنت باغير على جروح المصابين من الخناقة.

مط شفتيه السفلى ثم سأل:

- إيه رأيك فى الخناقة؟ كانت عركة رهيبة؟

رددت عليه وإن لم يعجبنى سؤاله:

- أنت بتسأل وكأننى ناقد رياضى شاهد مبارة رياضية بين فريقين متنافسين.. الأمر كله كان رهيب وخاصة أن فى ناس أصيبت بجروح كبيرة.

ابتسم فى خبث ثم أردف:

- هل تعرف سبب الخناقة؟

يبدو أن صديقنا لديه القدرة على معرفة الأخبار كله ولاسيما مكانه فى محل الاتصالات يتيح له فعل ذلك أن يتجسس على زبائنه ويعرف ما الذى يدور فى المنطقة، أومأت براسى نفيا وأردفت:

- بالطبع معرفش، ومش هاستفيد بشئ لو عرفت السبب.

هز رأسه فى أسى متجاهلا عبارتى و استعد لرواية الحكاية الرهيبة التى أدت إلى سبب العراك، رفع صوته فى رهبة وقال:

- خناقة بين عيلتين علشان عيل من عيلة أبوشنب ضرب عيل من عيلة البرايدة والعيلتين كانوا متخانقين من زمان قام عيل البرايدة جمع أصحابه وعلق عيل أبوشنب ونزلوا فيه ضرب, راح عيل أبو شنب قال لأبوه, راح أبوه جمع البلطجية من العيلة وراحوا ضربوا العيل وضربوا أبوه, راح أبو العيل بتاع البرايدة جمع البلطجية و حصل الاشتباك زى ما شفت.

أحسست بالدوار والصداع فى آن واحد جراء حديثه الممل، ولكن تحاملت وجوده معى أفضل من لاشئ، سألته فى سخف:

- ومن الذى كسب المبارة أبوشنب ولا البرايدة؟

ضحك وكأنما راقت له الدعابة السخيفة وقال ردا أشد سخافة:

- انتهى بالتعادل ولكن احتمال وجود أشواط إضافية و ممكن يكون كمان فيه ركلات ترجيح.

لقد كرهت نفسى بعد ما سمعت عبارته ولكنى مجبر على احتماله فخبرته فى المنطقة لا بأس بها...

استاذن ممدوح بالانصراف وقال:

- اعتذر علشان أسيبك لوحدك بس محتاج أنام بدرى علشان عندى مشوار تحمل غيابى.

هذا أفضل شئ قدمته لى وأعدك أنى لن أتاثر بغيابك, نظرت إلى الساعة فوجدتها تشير إلى الواحدة والنصف، بقى لى ساعتان على نهاية دوامى, الدوام الليلى هو عمل منهك ومتعب، كما أن الظلام يجعلك تشعر بالنعاس، لست خفاشا لأعشق الليل مرت الثوانى كالدقائق والدقائق كالساعات....

متى أحسست بالنعاس؟ عيناى مثقلتان! رأسى يتهاوى و أرى الظلام يداعب جفونى كبحر يطلب منى السباحة بين أمواجه العاتية، ولم أكذب خبرا، بين الأمواج أسبح وحالة من التراخى تملأ جسدى...

هناك منصة للقفز فى البحر سأصعدها وألقى نفسى فى البحر لأكمل السباحة جسدى يهوى...

ويهوى...

مازلت أهوى...

و...

طاااااااااااخ، بوم بووووووووم

استيقظت على سقوط مقعدى على الأرض، كان المقعد ملقي على ظهره وقدماى صارتا فوق رأسي والأرضية، غير أن رف الأشربة الذى كان خلفى قد تهاوى بدوره على الأرضية، لحسن الحظ لم ينكسر شئ فميزانيتى المتواضعة لن تتحمل أعباء إضافية, انهمكت فى ترتيب الأشربة و تنظيمها مرة أخرى على الرف المخصص لها, صوت الباب ينفتح، قمت واقفا لأستقبل الزائر, لم يكن زائرا بل زائرة ترتدى عباءة سوداء وخمارا أسود، ولكنه غير متقن الإحكام حيث أن نصف شعرها واضح للغاية شعر أسود فاحم كلون الليل.

قالت الفتاة:

- صباح الخير, أمى عندها ترجيع شديد و زاد الترجيع جدا أكثر من مرة, لو سمحت محتاجة دواء علشان يوقف الترجيع، وفى الصباح سوف نذهب بها إلى المشفى.

نظرت إلى الفتاة وقلت لها:

- هل تعانى الأم من الاسهال؟

هزت رأسها بالنفى فاستطردت:

فى الحالة ده ممكن ناخد لبوس زى MOTINORM موتينورم لبوس الاسم التجارى لمادة الدومبريدون DOMPERIDONE لبوسة كل 12 ساعة وان شاء الله يتوقف الترجيع.

وضعت التحاميل فى كيس صغير وناولتها للفتاة، لا يزال لدى نصف ساعة، ولكن النوم يحوم خلفى، لن أتحمل، سأغلق الصيدلية لأرتاح من التعب الذى جنيته اليوم.

4- الأطفال والحقن

فى اليوم التالى توجهت للصيدلية كالمعتاد مرتديا نفس الطاقم الذى أرتديه، كان الطريق به بقع من الماء التى تسربت من البالوعة، وكان هناك كتل من الطين منتشرة على الطريق، لم أستطيع أن أتفادها فخطوت عليها...وبالتالى التصقت كتل من الطين بحذائى, اتسخ حذائى من الطين، اقتربت من الصيدلية ثم دخلت وجدت قطعة من القماش قابعة على الأرضية والتى تستخدم لتنظيف الأحذية ولكنى تفاديتها غير مبال لها، ألقيت السلام بصوت عالٍ:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لم انتبه إلى لمياء التى عكفت على تنظيف الصيدلية بالماء والتايد والديتول، وكانت رائحة الكلور تملأ المكان، أحسست أنى دخلت غرفة العمليات فى مشفى، استقبلتنى لمياء بالصراخ والعويل ثم وجدتها تقوم بحركات غير مفهومة مثل قبيلة الماكو الأفريقية كأن مسًّا أصابها ثم موجة من البكاء الحاد وهى تضرب الأرضية بقدميها كطفلة اختطفت دميتها، لم أفهم ما الذى تفعله هذه المعتوهة فقلت فى هدوء:

- إيه اللى حصل لكل ده يا له من استقبال !!!

أشارت إلى الأرضية خلفى و رأيت أثر أقدامى السوداء يزين الأرضية بالطين على الأرضية البيضاء الناصعة التى تم غسلها بالماء، كانت آثار الأقدام منتشرة على الأرضية كرقعة الشطرنج التى تنقسم إلى مربعات ذات لونين أبيض وأسود، خجلت من نفسى كثيرا، لم انتبه لها وهى تنظف المكان، وها هى النتيجة أرضية بيضاء بها آثار أقدام من الطين....

قلت فى خجل:

- آسف يا لمياء بس ما انتبهتش أنك بتمسحى، عامة الأمر بسيط النهاردة إعفاء لكِ من كوب الشاى هأروح اعمله بنفسى.

وجدتها قادمة إلى المعمل وبيدها تلك القماشة التى وجدتها على أرضية الصيدلية عند الباب قالت لى فى غضب:

- لو سمحت سيادتك نضف جزمتك بالقماشة علشان أنا تعبانة فى التنضيف ممكن تراعى شعورى؟!

أجبتها وأنا غير مبال لها:

- حاضر بس الموضوع بسيط المرة الجاية هانتبه ومش ابهدل المكان تانى بس سؤال هى أم سلامة ليه مانضفتش؟

أجابتنى فى غيظ:

- أم سلامه شايفة نفسها المدير، تانى حاجة هى القديمة فى المكان فالمفروض أنى أشيل الشغل كله على رأسى، بس ثوانى سيادتك ليه جاى بدرى نصف ساعة؟ مش غريب؟

أجبتها وأنا أصب الماء المغلى فى الكوب:

- علشان مشيت بدرى نصف ساعة عن دوامى امبارح فقلت أعوض فى اليوم التانى.

قالت لى فى سخرية:

- أنت فاهم الشغل غلط، سيادتك مشيت نصف ساعة بدرى يبقى تزود نصف ساعة بعد الشفت مش قبل الشفت.

انهيت من تحضير الشاى ولكن كان خاليا من الصابون السائل ثم جلست على المكتب ووضعت كوب الشاى أمامى، كانت الأرضية بيضاء ناصعة، وقد اختفت آثار الأقدام التى طبعتها عليها، الحق يقال هذه الفتاة نشيطة تجيد التنظيف والترتيب، ولكنها لاتجيد الطهو، وقد اختبرت هذا من كوب الشاى الذى دائما أطالبها بتحضيره، هذه الفتاة أقصى خبراتها مع الطهو هو فتح علبة التونة، وإن كنت أتخيل أن مذاق التونة سيتغير إلى الأسوأ لو قامت لمياء بفتح العلبة...

سألتها:

- فين الدكتور محمد؟

- فى مشوار البيت اتصلوا عليه وطلبوا منه انه يوصلهم وهو عارف ان سيادتك هتشرف فقام مشى.

استاذنت هى للانصراف، ودخلت المعمل فغيرت النعل الذى كانت ترتديه أثناء مسح غسل الأرضية وارتدت حذاء عتيقا يرجع تاريخه إلى عهد الأسرة الخامسة بعد موحد القطرين مينا.

قلت لها فى سخرية لم تلحظها هى:

- شيك جدا الجزمة ده متماشية على الموضة.

لم تلاحظ نبرة السخرية حيث انهكمت فى ارتداء الحذاء.

- طبعا يا ابنى أنا اللى باختار حاجاتى بنفسى، و مش باخلى أى حد يختار ليَّ أى حاجة.

وقفت ثم حملت حقيبتها الصفراء بالرغم مع أنها كانت ترتدى طاقما أسود، هذا التناسق يذكرنى كثيرا بالزنبار وهى حشرة مريبة المنظر...

قالت فى مرح:

- سلام يا دوك أشوفك بكرة .

انصرفت من الصيدلية, جلست على المكتب ارتشف من الشاى الذى قمت بتحضيره, رأيت أمامى سيدة بدينة تدخل إلى الصيدلية ومعها طفل صغير يبكى بشدة ويصرخ صراخا شديدا, كان الطفل حافى القدمين, حليق الرأس يسيل من أنفه مخاط, ناولتنى وصفة طبية كان بهاCefotax vial 500mg

حقنة عضل كل 12 ساعة

Dolphen 25 MG

قمع شرجى كل 12 ساعة

Pulmocare syr

ملعقة صغيرة كل 8 ساعات

Cetal syr

ملعقة كبيرة كل 6 ساعات

سيفوتاكس نصف جرام مجفدات مضاد حيوى للحقن حقنة عضل كل 12 ساعة....

بالإضافة إلى قمع دولفين 25 مللجم كل 12 ساعة...

ثم شراب بلموكير شراب للسعال وشراب سيتال ملعقة كبيرة ما يعادل 5 مللى كل 6 ساعات....

هذا الطفل يعانى من سعال وحرارة والتهاب بالحلق, قمت بتحضير الدواء ووضعته أمامها...

نظرت لى وقالت فى توتر:

- عايزة الولد ياخد أبرة. ممكن تديله أبرة دلوقتى؟

نظرت إلى الطفل الذى لم يكف عن الصراخ أو البكاء وقلت لها:

- مفيش مشكلة هادى له الإبرة.

أخرجت محقنا وسحبت من الماء الصالح للحقن 3 مللى ثم صببت الماء داخل المجفد وقمت برج المجفد جيدا.

بالطبع رأيت علامات الرعب والفزع ترتسمان على ملامح الصغير الذى ارتفع صوته بالبكاء والنحيب، وهو يرجو أمه أن تخرج من الصيدلية ولكن الأم صرخت به صرخة جعلته ينكمش فى مكانه... ولكنه استمر بالبكاء، انتهيت من تجهيز المحقن وأشرت إلى الأم لكى تستعد ولكن الطفل تنمر وتمرد وأخذ صراخه يزداد....

ليس لدى أدنى ذرة شك أن الجيران قد استمعوا لهذا الصراخ وظنوا أننا نقوم بحلقة تعذيب للطفل مثل ضابط فى جهاز الجستابو الشهير النازى يقوم بتعذيب أسير فرنسى سقط فى يديه.

بدأ الطفل يحرك يديه وقدميه فى عصبية ثم تطورت الحركة إلى لكمات وركلات يوجهها لى، نظرت أنا إلى الأم وقلت:

- حركة الطفل خطيرة لازم تثبتى حركته علشان أعرف اديله الإبرة.

كانت عبارتى بمثابة وبال على الطفل الذى وجد كف أمه يهوى على وجهه مصدرا صوتا عاليا بالطبع، ازداد الطين بله فقد زادت عصبية الولد....

ولكن الأم قامت بتقييده ثم قامت بتجريده من بنطاله تعالت نوبة الصراخ وتحولت إلى نوبة هستيرية أخرجت المحقن وقبل غرس المحقن فى العضلة الخلفية بحوالى جزء من الثانية انسل الطفل من بيننا كما تنسل ثمرة الموز من قشرتها....

وأصبح حرا طليقا كطائر وجد باب القفص أمامه مفتوحا وما لبث أن لاذ بالفرار...

انطلق الطفل هاربا من الصيدلية, ولا تنس هنا أن طرفه الأسفل عارى تماما, أسرعت الأم باللحاق به وهو تتوعده بأشد العقاب، ولكن الطفل كان سريعا للغاية, لاتوجد كلمات تستطيع وصف ما حدث, ودعنى أقرب لك المشهد, هل تشاهد برنامج مواقف وطرائف الذى يقدمه جلال علام؟ هل شاهدت المطاردات التى تحدث بين الحيوانات؟ لو كنت شاهدتها فسترى فيلا يجرى محاولا اللحاق ويركض وراء غزال ولكن الغزال هنا عارى الساقين نسى أن يرتدى بنطاله...

كان مشهدا غريبا اجتمعت فيه كل عناصر الجنون الممزوجة بالغباء، رجعت مرة أخرى للمكتب ولكن الشاى كان باردا جرعته مرة واحدة وضعت العلاج جانبا وقمت أطالع دليل الدواء بعد عشرة دقائق وجدت أمامى ثلاث سيدات بدينات وكانت بينهم الأم التى كانت تطارد الطفل ومعهم الطفل الذى ذاق كل أنواع العذاب من ركلات ولكمات وحرقا بالنار عرفت أن السيدتين ما هما إلا جدته وخالته، بالطبع

سأكرر ما فعلته أخرجت محقنا جديدا, و قمت بتجهيز المحقن وهنا وجدت الثلاث سيدات يقمن بتشكيل لمحاصرة الطفل ثم حملوه وألقوه على المكتب, كان منبطحا على وجهه, وجدت الجدة تمسك يديه والأم تمسك ظهره والخالة تمسك ساقيه, وبالطبع ظل الطفل يبكى ويسب سبابا مقذعا يأنف عنه السمع.

جردته الأم من بنطاله مجددا...

أقتربت أنا من الطفل وغرست المحقن فى العضلة الخلفية، وبدأت أفرغ محتويات المحقن تدريجيا ولكنى أحسست بلفح ساخن عصف بوجهى, وشعرت بأنفى قد سقط وخيشومى قد احترق كاملا من الداخل, فقدت حاسة الشم, وانتباتنى حالة من السعال الحاد المتواصل, مع انبعاث رائحة كريهة ونتنة للغاية لا داعى لتوضيح من أين صدرت!! هى مشابهة لرائحة بالوعة عتيقة ظلت مغلقة لمدة عشر أعوام ثم انفتحت فجأة, بدأت أشعر بتنميل فى الأطراف مع تخدير كامل, فقدت القدرة على النطق, واحمرار فى العينين, هذا الطفل اللعين مصمم على إفساد حلقة التعذيب التى نعدها له, أو بمعنى آخر هو مستميت للدفاع عن نفسه بشتى الطرق حتى أنه قد أبرز آخر أوراقه وهى قنبلة الغاز المسيلة للدموع والحارقة للبشرة وكان موفقا إلى حد ما.

سمعت ضحكات من الأم والجدة وهن يقهقهن بصوت عالٍ:

- الله يقرفك انت طلعت ريح يا حسونة؟!

ذكية تلك السيدة كى تلاحظ ما حدث ولكنى قد أخذت نصيبى كاملا من تلك الرائحة التى أثرت على وظائف العقل لدى.

انصرفوا جميعا من الصيدلية وتركونى أعانى من دوار رهيب وحالة من السعال الحاد أثر التهاب بالقصبة الهوائية أسرعت إلى

معطرات الجو واستنفدت ثلاث علب فى تطهير الجو لكى أتخلص من تلك الرائحة العالقة بالمكان, أعدت ترتيب المكتب مرة أخرى, فى المرة القادمة لن أنسى أن أرتدى قناع مضاد لغازات البطن التى هى أشد فتكا من القنابل التى ألقيت على هيروشيما وناجازكى لكى لا أقع فى ذلك الخطأ مرة أخرى....

انفتح باب الصيدلية ورأيت شخصا مفتول العضلات ويضع على رأسه غطاء مشابها لما كان يرتديه المصارع هوجان .

ابتسم فى تودد وقال:

- ازيك يا دكتور أنا كابتن عماد مدير صالة كمال الأجسام والجيم اللى ورا الصيدلية.

ومد يده ليصافحنى، مددت بدورى يدى لأصافحه ولكن كف يدى انسحق إثر مصافحته القوية.

قال لى:

- لو سمحت كنت عايز اتنين ديكا وواحدة سوستانون.

لم أفهم ما الذى يعنيه فقلت له:

- ماعلش ممكن تعيد تانى؟! مسمعتش كويس.

ابتسم لى ثم أشار إلى ناحية الامبولات والحقن ثم قال:

- تالت علبة على الرف التانى والسوستانون الرف الأخير العلبة الرابعة.

توجهت إلى هناك والتقطت العلب الثلاث ثم ناولتها له، أخذها ثم دفع التكلفة, شكرنى وانصرف.

بعد انصرافه أخرجت علبة Decadurabolin ديكاديوربولين وهو الاسم التجارى لمادة Nandrolone decanoate نادرولون ديكانوات، وهذه المادة مشتق من مادة التستيرون الهرمون الذكرى المسئول عن نمو العضلات ونمو كثافة العظام وخشونة الصوت وزيادة كريات الدم الحمرا بالطبع يستخدمها أبطال كمال الأجسام فى تنمية العضلات، ولكن لها أضرارا جانبية خطيرة منها:

1- العقم هذه المادة تؤثر على توازن الهرمونات وخاصة هرمون التستيرون وبالتالىسيؤدى إلى نقص الهرمون فى الجسد ويتناقص انتاج الحيوانات المنوية فيحدث العقم.

2- يؤدى إلى تضخم بالبروستاتا.

3- يزيد من حبوب الشباب.

4- تساقط الشعر إلى الصلع.

وغيرها من الآثار الجانبية، ولكنى أقف متعجبا: ما الافادة إذا اهتممت بالمنظر الخارجى وأفسدت الداخل هذه المادة تستخدم فى حالات طبية معينة فهى تعالج مرضى سرطان الثدى أو من يعانى من هشاشة العظام لنقص هرمون التستيرون، ولا داعى لاستخدامها فى أغراض أخرى غير الاستخدامات الطبية المنوط بها.

لحظات مرت ثم جاءنى طفل فى العاشرة من عمره.

قال لى:

- السلام عليكم لو سمحتى عايز حبوب ملينة لبابا يا عمو!!

ذهبت إلى الحبوب الملينة وأخرجت له حبوب نصار Nassar وهو حبوب رائعة ستفى بالغرض، قلت له:

- خلى بابا ياخد حبتين بس.

ثم نقدنى التكلفة وانصرف، أحسست بالجوع يعصر معدتى فذهبت إلى المطعم الذى يجاور الصيدلية وابتاعت شطيرتين ثم رجع للصيدلية وتناولتهما فى نهم بعد ساعتين وجدت أمامى نفس الطفل الذى ابتاع منى الحبوب الملينة، سألته:

- ها الامساك راح عن بابا, الحبوب عملت الواجب.

وجدته يرد فى براءة:

- نعم يا عمو بس بابا ماسمعش كلامك وبلع تمانية, فالإمساك اتحول إلى إسهال وهو فى الحمام من ساعتين, ويصرخ من الألم وعايز علاج الإسهال.

مهلا عزيزى هل تتخيل أن معدة والدك ماكينة لها زر إمساك وزر إسهال بالطبع، أحسست بحيرة من أمرى ولكنى ذهبت وأخرجت علبة الايموديوم Immodium cap.

قلت له فى صرامة:

- كبسولتان فقط لا أكثر.

ناولته الحبوب ثم جلست فى مقعدى أفكر أكبر مشكلة تواجههنا هنا هى الجهل, هذا الداء متفشٍ بنسبة كبيرة، وهو المسئول عن تراجع

وتخلف الأمم, يكاد عقلى يجن من بعض العقليات التى أواجهها, هذه العقليات عفى عنها الزمن كنت أتخيل أنها اندثرت ولكن كم أنا مخطئ....

انفتح الباب ووجدت أمامى ممدوح الذى أغلق محله نظرت إلى الساعة فوجدتها تجاوزت الواحدة بعد منتصف الليل بقليل.

ابتسم وقال لى:

- مساء الخير يا دوك, أو صباح الخير.

سحب كرسيا ثم قال لى فى:

- عندك شاى أو قهوة دماغى مش متظبطة.

أومأت برأسى موافقا وسألته:

- شاى بس هو اللى عندى.. عايز أعمل لك كوب شاى؟

كما كنت أمارس عادتى البغيضة مع لمياء بطلبى منها أن تحضر لى كوب شاى ها هو شخص فرض نفسه على الساحة يرد لى الموقف ويطلب لى فى سماجة أن أحضر له كوبا من الشاي...

ذهبت للمخزن وغليت الماء على الموقد البدائى ذى العين الواحدة ثم ناولته كوبا أمامه وكوبا أمامى...

ارتشف من الشاى رشفة كبيرة أحرقت لسانه ثم قال بلسان محروق:

- الشاى ده سخن جدا.

يا له من عبقرى فى فهم الظواهر الفيزيائية. أبديت له انبهارى بقدرته الفذة على الاستنتاج الاستنباطى قلت له:

- بديهيا مافيش شاى بارد, تانى حاجة مر بمرحلة غليان يبقى لازم يكون سخن.

رد علىَّ هو يعوج لسانه من أثر الاحتراق:

- لا أقصد انك سخنت الميه زيادة.

هذا أيضا نوع من الغباء وأنا أكره الغباء لايوجد فرق بين ماء مغلى وآخر مغلى بزيادة...

هممت أن أرد عليه ولكن باب الصيدلية انفتح فرأيت أمامى فتى يرتدى جلبابا أبيض ويصحب معه ماعزا، صحت فيه:

- طلع المعزة بره, انت داخل فين!!

نظر لى وقال:

- اصبر يا كابتن المعزة بتهُر.

رفعت حاجبى فى تعجب:

- إيه بتهُر؟! ازاى بتهُر المعزة؟!

تدخل ممدوح ليفسر الكلمة الغريبة التى لم أجد لها أى تفسير رأيته يتكلم، ومازال لسانه معوجا من الشاي:

- بتهُر يعنى عندها إسهال, عايز دواء علشان يوقف اسهال المعزة.

بغض النظر عن كابتن، ولكن موضوع الإسهال الذى تعانى منه الحيوانات لا يتواجد لدينا من أقنع ذلك الفتى بوجود دواء للإسهال يعالج

الحيوانات، الصيدلية تبيع دواء بشريا، ولكن كيف تقنع الذى أمامك بوجهه نظرك؟! وقبل أن أتكلم وجدت الفتى يقول:

- لا مش دواء يا كابتن, اكياس سيد باحطها فى الميه للمعزة لما تشرب ويتوقف الإسهال.

ثم أشار خلفى على الرف العلوى ذهبت أنا إلى حيث أشار ووجدت أكياس انتوسيد Entocid لعلاج الإسهال أخرجت له كيسين كما طلب ثم انصرف...

يا لهم من زبائن؟! رجل يقضى الليل بطوله داخل الحمام يعانى من الإسهال لأنه تجاوز الجرعة وفتى يطلب أكياسا للإسهال لعلاج الماعز.

- تعرف عم أحمد البقال؟ يا دوك.

قاطع ممدوح أفكارى بجملته, أجبته فى ضجر:

- لا ماعرفهوش, إيه مشكلة أم أحمد؟!

انتهى من شرب الشاى ثم اعتدل فى مقعده وقال:

- راح امبارح المستشفى, كان عنده مغص رهيب ومش عارف يتحرك ولما راح هناك اكتشفوا...

قاطعت عبارته و قلت له فى ملل:

- إيه طلعت حامل؟

تابع بنفس الثقة:

- أنا قلت عم أحمد مش أم أحمد, طلع عنده مصران أعور وعمل عملية امبارح.

رددت عليه:

- الف سلامه عليه, اسمها التهاب زائدة دودية.

تابع ممدوح:

- لكنى اتفاجئت تماما باللى حصل لأم سميرة.

هذا الشاب يذكرك بوكالة استخبارت عالمية لديه كل الأخبار ولا سيما فهو يتجسس يوميا على مكالمات الزبائن, غالبا فراغ الوقت يفعل أكثر من ذلك, كانت أتوقع أن هذه المزية تتوافر لدى الفتيات فقط، ولكن أجد ذلك الفتى نموذجا يحتذى به فى نقل الأخبار، وبالتالى يضيف تعليقاته السمجة عليها لكى يكون أكثر إثارة، أعتقد أن له مستقبلا باهرا، لو عمل لدى التلفاز المصرى ماسبيرو وخصص برنامجا لكى يتدخل فى شئون الناس...

تابع هو حديثه الممل وقال:

- انكسرت رجليها وهى بتنزل السلم النهاردة الصبح وانزلقت واحتمال يكون عندها انزلاق غضروفى.

قلت له:

- اللى هتستفيد منه لما تعرف الأخبار ده من عملية التهاب زائدة دودية لعم أحمد أو واقعة انزلاق أم سميرة إيه الفايدة!!

قال فى خبث:

- كل دول هيريحوا المستشفى وياخدوا علاج هيصرفوا العلاج منين؟! من صيدليتك يعنى الرزق جاى لك.

انت تفكر بهذا المنطق لا عجب أنك قد تجاوزت تفكير الشيطان نظرت له وقلت فى عصبية:

- أنت فهمت غلط الصيدلى مش مجرد بياع بيبع ومستنى الناس أنها تمرض علشان يبيع أكتر وخلاص، الصيدلة هى أنك تساعد الناس سواء بإرشادات طبية أو خلافه من نصيحة طبية قياس الضغط ولكن موضوع البيع ده آخر حاجة بنفكر فيها.

نظر لى فى عدم اقتناع وقال فى غباء:

- فلسفة فارغة الناس مافتحتش صيدليات علشان كده الجانب المادى هو اكتر حاجة الناس بتدور عليها.

ضغطت على أسنانى وقد نجح فى إثارة غيظى إلى حد ما وقلت فى غيظ:

- الاخبار ده بتعرفها منين؟! انت بتجسس على الناس وده غلط.

رد عليَّ مدافعا عن نفسه:

- لا طبعا مش باتجسس ولا حاجة ولكن الناس ساعات بتنسى نفسها وتتكلم بصوت عالوودانى بتلقط الكلام، أعمل إيه احط قطنة جوه ودانى انت عارف عبير بنت عم ابراهيم ماشية مع الواد كمال بتاع صالة البلياردو و...

قاطعته فى عصبية وقد فاض بى من حديثه السمج....

- اخرس يا ممدوح مش عايز اسمع منك أى كلمة.

وقف على الفور ثم ودعنى وانصرف.

نظرت إلى الساعة وانتظرت بفارغ الصبر إلى أن ينتهى دوامى لكى أرجع إلى البيت، لحظات وأتى الوقت الموعود فأغلقت الصيدلية وانطلقت إلى بيتى لكى أريح نفسى من عناء اليوم.

5 – قافلة طبية

بعيدا عن جو الصيدلية الممتلئ بالأدوية والعقاقير ورائحة الديتول وأشربة السعال والأمبولات, سنبتعد عن الصيدلية مؤقتا, دعنى أخذك فى جولة إلى مكان طبيعى رائع...

بعيدا عن التلوث والضوضاء مكان تلعب فيه الطبيعة دورا أساسيا فى حياة الناس حيث أنها العامل الأهم الذى يتم الاستعاضة به فى مواجهة تحديات الحياة....

سنذهب إلى مكان حيث يصبح الهدوء كاهنا يتعبد فى صومعته, مُشرعا قانونا لايمكن تجاوزه... مكان يصير اللون الأخضر هو الفريق المسيطر فى مباراة الألوان, جاعلا النظر له متعة لاتضاهيها أى متعة...

ميعادنا عند قرية مصرية أصيلة تحفل بعبق الأصالة وتنشر البساطة والطيبة إلى كل أنحائها...

اتصل بى صديق يدعى هيثم يدرس الصف الأخير من كلية العلوم قسم الحيوان zoology، ودعانى إلى قافلة طبية، والقافلة الطبية عبارة عن عمل تطوعى مكون من شباب وأطباء وصيادلة ومنظمين ومسئول عن القافلة، و لاتنس السائق بالطبع, هذه القوافل الطبية تتبع عملا خيريا لإحدى الجمعيات الخيرية، وبالطبع تكون القافلة حاصلة على تصريح من وزارة الصحة، وتصريح من الداخلية خاصة أمن الدولة لكى يمارس الخدمة، وقد يشترط وجود مراقبين ولكن لا بأس... أخبرنى هيثم أنهم يحتاجون صيادلة، وبما أنى لا زلت أدرس الصيدلة فتنطبق علىَّ الشروط، كما أنى بحاجة إلى تغيير جو، وافقت على الفور، هاهى خبرة تضاف إلى خبراتى....

المكان هنا يبعد عن المدينة حوالى 45 كم, قرية بها حقول الذرة التى تختال ضاحكة من الحسن... وتمرح فيها سنابل القمح المتلألئة تحت ضوء الشمس الذهبى, هذه القرية تعانى من سوء تغطية الخدمات الطبية والتعليمية, وبالرغم من وجود وحدة طبية ولكنها خارج نطاق العمل....بمعنى أنها تعمل ولكن لا يوجد دواء, وقد لايوجد طبيب وقد لا يوجد صيدلى...

فى الساعة السابعة صباحا وقفت أنتظر هيثم لكى ننطلق معا فى القافلة عشر دقائق ووجدته أمامى مرتديا منظارا شمسيا مخفيا ثلاث أرباع وجهه ومرتديا قميصا أزرق و بنطالا أسود، كحراس الأمن فى إحدى المنشئات...

ابتسم لى ثم حيانى قلت له:

- هو الباص هيتأخر علينا؟

عدل من وضع منظاره الكبير ثم قال:

- عشر دقايق وهيجى مش هيتاخر.

العشر دقائق هذه قد تتجاوز نصف الساعة لدى المصريين، وفى بعض الاحيان قد تصل إلى ساعتين وقد يفاجئك أنه لن يأتى أساسا.

مرت نصف ساعة كما توقعت مسبقا ثم جاء الميكروباص كان لونه أبيض، صعدنا إليه ثم نظرنا إلى السائق والذى عرفت أن اسمه عم سيد قال هيثم فى غضب:

- ليه التاخير؟ مش كان الميعاد على الساعة 7 ودى الوقت الساعة 7:40 دقيقة.

رد السائق بصوت غليظ:

- اعمل إيه يا بشاوات عم حسين تعب فجأة وكلفنى أنى اطلع معاكم، تانى حاجة بلاش كل واحد يقول لى اتاخرت اتاخرت، ماباحبش اللهجة دى.

سألت هيثم فى عدم فهم:

- مين عم حسين ده؟

أجابنى هيثم:

- السواق اللى مفروض يطلع معانا ومش عارف حصله إيه؟ وجه مكانه عم سيد وهو عارف كل حتة.

اتخذنا مقاعدنا خلف السائق ثم سألت السائق:

- طب انت عارف السكة كويس؟

رمقنى السائق بنظرة نارية خلال المرآة الأمامية التى توضع أمام كل سائق ولم يجب على سؤالى بالطبع اعتبره إهانة لخبرته الطويلة كما يأتى شخص ويسألك فى الصيدلية هل تعرف شيئا عن الريفو؟

كان بجانب السائق يوجد نبيل وهو المسئول عن القافلة ويعمل مهندسا بإحدى شركات المقاولات. تحدث نبيل من خلال مكبر الصوت فى الباص بعد أن عرف بنفسه:

- احنا ان شاء الله خلال نص ساعة هنوصل للمكان وهى هتكون مدرسة هنجهزها علشان تكون نموذج مصغر لوحدة طبية، هتمر بمرحلة التجهيز معانا خمس أطباء وأربع دكاترة صيدلانيات وعشر منظمين للقافلة بعد ما اليوم ينتهى

أتمنى اننا نرجع المكان زى ما كان وأى اسئلة ممكن تسألونى أنا.

سأل هيثم سؤالا:

- هو إيه اللى حصل لعم حسين؟!

أجاب نبيل على الفور:

- أبدا نزلة معوية وترجيع, الدكتور طلب منه الراحة علشان كده مطلعش معانا.

قلت فى نفسى أربعة صيدلانيات لن يسمحوا لى بالاقتراب من الدواء وخاصة بعد ما عرفت انهم تخرجوا ولديهم تصاريح عمل ويباشرون عملهم فى المستشفيات الحكومية إذن ما هى وظيفتى؟!

نظرت إلى هيثم وقلت له فى حنق:

- أربع صيدلانيات ماسكين الصيدلية أنا وظيفتى ايه؟!

رد هيثم:

- اصبر على رزقك هتعرف لما نوصل.

كان الميكروباص يتهادى على الطريق كما تتهادى الدجاجة التى تسير برفقة فراخها الصغار ولو صادف سوء الحظ قطة تلد على الطريق لتوقف السائق وانتظر بل وشارف على عملية الولادة واطمأن على الأم وجنينها وأحوال الرضاعة الطبيعية, استغرق الطريق أكثر من نصف ساعة بل قد وصل إلى ساعة ومازال يسير ولم يتوقف...

سألت السائق فى ضجر:

- احنا داخلين على ساعة ولسه موصلناش يا عم سيد؟

صاح عم سيد فى عصبية:

- أنا ماشى على وصفة عم حسين, وهنوصل على طول.

قلت للسائق فى شك:

- وانت كنت متاكد أن عم حسين كان مركز معاك ولا النزلة المعوية أثرت على تركيزه؟

رد السائق فى ثقة:

- يا أستاذ عيب ده الوصفة سهلة بالرغم مع إن عم حسين عنده زهايمر ولكنه سواق بريمو.

يا للمصيبة عم حسين يعانى من الزهايمر حتما ضللنا الطريق.

رأيت نبيل يشير للسائق بالتوقف على جانب الطريق ثم نزل من الميكروباص وذهب إلى شخص يسأله عن المكان، علامات القلق ترتسم على نبيل، لقد ضللنا الطريق، الأمر لايحتاج الكثير من الذكاء. تحدث نبيل للسائق قائلا:

- احنا عدينا المدخل من ربع ساعة هنرجع ونلف عبر أى دوران وندخل أول مدخل يمين.

نظرت للسائق وقلت له فى غيظ:

- مش لو كنا سألنا؟ كنا وصلنا من زمان؟!

مط السائق شفتيه فى امتعاض وقال فى برود وكأنه لا يعترف بوجود خطأ من أساسه:

- خلاص يا أفندية عرفنا الوصف وهنوصل بإذن الله.

رجع السائق إلى الطريق عبر الدوران ثم سار فى عكس الطريق حتى وصل لدوران آخر واتجه يمينا عند أول مدخل وسارت العربة حتى وصل إلى طريق وعر غير ممهد، وبعض الأطفال والرجال يشاهدون العربة فى تعجب ثم انقسم الطريق إلى فرعين أصغر يمين و يسار، صمت نبيل لحظة ثم قال:

- روح يمين.

انطلق السائق يمينا حتى وصل إلى مدرسة متهالكة لا يوجد عليها أى مسمى المدرسة شبه مقفرة وقد صارت ملجأ للقمامة. عندما رأيت المشهد هالنى ما رأيت, أكوام القمامة مكدسة داخل المدرسة.

أما عامل المدرسة فكان ساكنا ولا تاثير لوجوده....

توقف الميكروباص وقبل أن يهبط الجميع أسرع نبيل وقال عبر مكبر الصوت:

- احنا وصلنا ياشباب المطلوب من المنظمين إنهم هيساعدوا فى تنظيف المدرسة وتجهيزها ويستثنى الأطباء والصيادلة والسائق.

ثم هبط نبيل ومن معه من الباص سرنى ذلك لأنى صيدلى فلن أشارك معهم فى التنظيف, ولكن نبيل صعد إلى الباص مرة أخرى ثم نظر لى وقال:

- انت مكانك معنا مع التنظيف يلا ساعد زمايلك.

تجهمت ثوانى ثم استسلمت للأمر الواقع بدأنا ننقسم إلى فرق كل فريق مكون من اثنين, ارتدينا طاقم النظافة وهو طاقم أزرق اللون مثل طاقم الفنيين, ثم ارتدينا القفازات والكمامات, كانت مهمتى هى جمع الأوراق والقمامة من ساحة المدرسة والتى يطلق عليه حوش ووضعها فى أكياس كبيرة سوداء, نادى نبيل بصوت عال:

- ربع ساعة عايز المدرسة تكون نظيفة.

هذا الشخص أحمق بالطبع هل يتخيل أننا سننهى كل هذا العمل فى ربع ساعة سنستغرق يوما كاملا بالطبع ألم يشاهد هو أكوام القمامة التى تراكمت خلال شهور؟! إن أهل المنطقة اعتقدوا أن المدرسة ملجأ للقمامة...

تحول الجميع إلى آلات عمل دائبة ومصممة على إنهاء العمل بنجاح، فهناك من يقوم بإصلاح وتلميع الأثاث وآخر يقوم بتنظيف الأرضيات...وآخر يطبع الأوراق المرشدة على العيادات مثل عيادة الباطنة...عيادة الجلدية...

خلال ثلاث ساعات انتهينا من العمل انتهى الجميع كلهم إلا فريقى, استطعنا انجاز نصف الساحة فوجدنا أنه أفضل من لا شئ، ولكن الجميع انضموا إلينا وشاركوا فى تنظيف الساحة من الأوراق المبعثرة والقمامة الملقاة وتحولت ساحة المدرسة إلى ساحة براقة.

نظرنا إلى الساعة فوجدنا أنها الثانية عشرة, نزل الأطباء و الصيدلانيات ليتخذوا مقاعدهم, نادى نبيل السائق عم سيد وطلب منه أن يأخذ جولة بالباص لكى يقوم بالإعلان عن القافلة، ولكنه رفض لأن الباص لن يستطيع التوغل فى طرق وعرة وضيقة ولكنه قال فى ثقة:

- سيبوا الأمر لى يا أفندية, وانتم هتلاقوا كتل من الناس ومش هتقدروا تلاحقوا عليهم.

قلبى ينذرنى بكارثة ما وخاصة عندما يتكفل عم سيد بأمر ما أحس بمصيبة سوف تحل علينا, لحظات وأذن صلاة الظهر, ومرت ساعة كاملة ولم يأت أى شخص, أحسست بوجود خطأ ما، ذهبت إلى عم سيد وانضم إلىَّ هيثم.

سألت عم سيد :

- ساعة كاملة عدت وماحدش جه لغاية دلوقتى.

نظر عم سيد وقال فى سخف:

- الظاهر إن القرية ده مفيهاش حد عيان.

وأخذ يضحك ويقهقه كمن قد استمع إلى طرفة, انضم للحوار معنا نبيل المسئول عن القافلة وقلت لعم سيد:

- عم سيد انت أعلنت ازاى عن القافلة؟

نظر لى فى حيرة مصطنعة:

- الأمر مش محتاج فهلوة ولا مفهومية, رحت لإمام الجامع وخليته يعلن عن القافلة الطبية.

يا للمصيبة صدق ظنى أحسست بالغيظ والحنق معا:

قاطعته فى نفاد صبر:

- أولا اللى حضر الصلاة ستة بس, تانى حاجة ده مش جامع، ده زواية, ثالثا الإمام قال بسرعه إن فى قفلة طبية فى

المدرسة, ماحدش فهم, انا اصلا افتكرت أنه كان بيكح فى الميكرفون, عارف يعنى إيه ستة؟!

مط شفتيه فى عدم اقتناع وقال:

- الستة دول يا أستاذ يعملوا شغل.

رددت عليه على الفور فى حنق:

- صح يعملوا شغل بس خلال أسبوع أو ممكن شهر واحنا ميعادنا يوم واحد بس.

زمجر عم سيد وقال فى عصبية:

- طب انا اعمل إيه دى الوقت.

قال نبيل فى هدوء يحسد عليه وقال:

- ممكن نجيب عربية وميكرفون ونعلن عن القافلة؟ اعتقد انه حل كويس.

رد عم سيد وقد أعجبه الاقتراح:

- يسلم بقك يا باشمهندس هو ده التفكير.

الأمر بديهى, بالطبع هو الحل الوحيد لانه ليس لدينا حل غيره.

قلت وأنا انظر لعم سيد:

- نطلع بعربية عم سيد...

قاطعنى عم سيد فى غضب:

- عربيتى مش هتنفع تطلع فى الحوارى الضيقة والطرق هنا مش كويسة, العربية عهدة يا جماعة انا هاجيب الميكرفون.

أشار هيثم بيده وقال:

- نأجر سيارة لمدة ساعة ونلف بها القرية ونعلن عن طريق الميكرفون عن القافلة.

أخرج نبيل مبلغا من المال وسلمه لعم سيد و أشار إلينا لنرافقه، توجهنا إلى أقرب موقف للسيارات ولكن أغلب السيارت هنا من طراز النصف نقل, هذا النوع الذى ينقل الخضروات والفاكهة إلى المدينة والتى تتكون من كابينة أمامية تسع لراكبين اثنين وساحة خلفية لنقل البضاعة, بالطبع سألنا أغلب السائقين عن إمكانية تأجير سيارة...

ولكن الكل رفض, حتى رأيت شخصا يلوح بيده لنا, فتوجهنا إليه...

سالنا الشخص فى برود:

- أى خدمة يا بشاوات؟

رد عليه عم سيد باعتباره الأكبر سنا ومقاما:

- عايز أأجر عربية علشان نعلن عن قافلة طبية.

نظر الرجل فى غباء ينم على أنه لم يفهم ما قيل ثم قال:

- ماشى يا معلمين بس فيه سواق هيطلع معاكم.

هذا يعنى أن السائق وعم سيد سيستقلان الكابينة الأمامية، أما أنا و هيثم فسنكون فى الساحة الخلفية للسيارة فى العراء فى الهواء الطلق....

كانت السيارة متهالكة وتكاد تسير بصعوبة, ويصدر من محركها صوت كفيل بإيقاظ القرية من سبات عميق....

اتخذ عم سيد مقعده بجوار السائق, نظرت له وقلت:

- ادينى الميكرفون علشان اعلن وانا راكب ورا.

رفع يده فى حركة مسرحية وقال:

- لا يا أستاذ الميكروفون ده أمانة, وانا حلفت بالطلاق انى هاحافظ عليه, ده غير انى واخده من امام الجامع, انت قول لى بس أنت عايز تقول إيه؟ وانا هاقول له على طول.

بالطبع الموقف لن يسمح لنا بجدال, غير أن الجدال مع هذا الشخص لن تستفيد منه فى شئ بل قد تخسر أعصابك فى معركة خاسرة ولذا قلت له فى استسلام:

- قافلة طبية ليوم واحد كشف طبى ب 2 جنيه والدواء مجانا.

لم يستوعب عم سيد العبارة وقال فى ثقة شديدة:

- عبارة طويلة هاختصرها فى كلمتين.

صعدت للساحة الخلفية من السيارة وجلست بجوار هيثم، انطلقت السيارة وهى تصدر صوتا مزعجا أصابنى بالصمم، أخرج عم سيد رأسه من النافذة ووضع فمه أمام مكبر الصوت وقال بصوت عالٍ:

- بسم الله الرحمن الرحيم.

- الله الله الله.

- بسم الله الرحمن الرحيم.
- يا اولاد الحلال.

ثم تنحح وأصدر سعالا مزعجا عجيبا للتنبيه:

- قافلة طبية ب 2 جنيه.
- قافلة طبية ب 2 جنيه.

قال هيثم فى انفعال:

- ماذا يقول هذا الغبى؟ هيفتكروا أننا تجار خضروات وفاكهة.
- قافلة طبية ب 2 جنيه.
- قافلة طبية ب 2 جنيه
- قافلة طبية ب 2 جنيه

لم أعد احتمل ذلك الغباء المتزايد والذى تجاوز كل الحدود, كم أكره الغباء وأكره من يخال نفسه ذكيا وهو فى حقيقة الأمر حمارا, شعرت بالغيظ والحنق وواندفع الدم إلى وجهى من شدة الغيظ التى شعرت بها, وتمنيت لو أمتلك مدفعا لأوجهه إلى عم سيد.

الصوت يتعالى :

- قافلة طبية ب 2 جنيه.
- قافلة طبية ب 2 جنيه.

- اتنين جنيه.

الكارثة سيظن أصحاب السوق إننا ننافسهم, وإننا معانا بضاعة ونريد أن نختطف منهم الزبائن...

لحظات و احتشد جمع من الناس كانوا رجالا ونساء وأطفالا

بطأ السائق من سرعة السيارة التى كانت تتهادى كالدجاجة، اقتربت الناس من السيارة وسأل احدهم:

- بكام كيلو الطماطم يا معلمين؟

وصاحت امرأة:

- عايزة كوسة وكرمب جاهز للحشو.

وصاحت فتاة:

- عايزة فراخ شامورطى بلدى.

وصاح طفل صغير فى براءة:

- عايز مانجه ياعمو أو حلابسة.

لم أقدر على الاحتمال, رأيت الغباء ينفجر فى وجهى من كل ناحية كأنبوبة غاز مضغوط...

انفجرت من الضغط,أحسست بوجهى ينتفخ من تورد الدم به من شدة الغيظ الذى أحسست به واختنق صوتى ووجدت نفسى أصرخ فى غضب مرددا كلمة واحدة أودعت فيها حنقى وغضبى وانفعالى :

- كفاااية.

نظر هيثم إلى الناس وقال فى توتر:

- احنا قافلة طبية بنقدم كشف طبى مقابل تذكرة سعرها 2 جنيه والدواء بنقدمه مجانا ليوم واحد القافلة مكانها فى المدرسة اللى ورا السوق.

رأيت شخصا ينظر إلينا فى بلاهة ثم قال:

- طب أنا كويس وولادى كويسين وماعندناش حاجة برده نبجى عندكم.

لم أجد إجابة لهذا السؤال المنطقى وجدت نفسى أبكى من هذا السؤال الغبى....

أمسك هيثم كتفى وهمس فى أذنى:

- لقد وقعنا فى مشكلة.

أومأت برأسى:

- وجود عم سيد معانا.

هز رأسه نفيا:

- لأ الفكرة ان الناس ممكن تتظاهر بالمرض علشان تحصل على الدواء, فاهم علشان يكون معاهم دواء الإسهال أو الكحة أو فيتامين حاجة لوقت عوزة.

فكرت فى الأمر ووجدت انه قد يكون صوابا ولكن ليس علينا تفتيش ضمائر الناس افعل الخير واديه لعم سيد....

كتبت صيغة الإعلان لعم سيد وتوسلت له أن يقرأ من الورقة وأن يترك بصمته الذهبية وقمنا بالدوران على القرية ثم رجعنا إلى المدرسة ووجدنا فعلا الناس محتشدة على باب المدرسة.

يوجد لدينا أربع عيادات وهى عيادة الجلدية والجهاز الهضمى والأنف والأذن والحنجرة والقلب والأوعية الدموية وبالطبع الصيدلية.

بدأنا فى تنظيم الناس وتوجيههم إلى العيادات, ثم صرف الوصفات الطبية من الصيدلية, كان الأمر بحق مرهقا و متعبا...

سمعت صوت طبيب القلب والأوعية الدموية يصرخ فى مريض ويطرده خارج العيادة قائلا:

- محتال ماعندهوش أى مرض ومصمم انه عيان وبيقول اعراض مش موجوده عنده.

صاح المريض فى الطبيب بغضب:

- والله انك دكتور مش بتفهم واللى علمك الطب....

وضعت يدى على فمه وأخرجته من المدرسة وأنا أهدئ من روعه حتى لا يقوم بأى مشكلة, أفهم هذه النوعية من الناس يثير المشاكل والمصائب أينما تواجد, لابد أن تمتص غضبه وقلت له:

- بكرة تعالى بعد الضهر وانا هاجيب لك حقك.

اقتنع بكلامى وذهب، رجعت مرة أخرى للمدرسة بالطبع غدا لن يكون لن وجود هنا لأنها يوم واحد فقط...

وسمعت مشادة صوتية بين مريضة ودكتورة صيدلانية وقد تطورت المشادة إلى نوع من أنواع الردح بين الاثنتين وقد خلعت الدكتورة عباءة العلم وتقوم بمناورة متبادلة مع المريضة على غرار.

- نعم يا دلع دى.
- حاسبى على كلامك انت فاكرة نفسك إيه؟
- ده أنا اطلع عينيكِ وعينين اللى...

وبالطبع الكثير من العبارات التى تجاوزت حدود الأدب المسموح خرجت السيدة بعد أذاقتنا وابلا من السباب الذى لا داعى له.

انتهى اليوم المتعب بعد مناورات ومشادات مع المرضى ولكن انتهى اليوم وصعدنا الباص حيث كان عم سيد يدندن لحنا شعبيا على سجية أغانى أحمد عدوية و السح الدح امبو.

اتخذنا مقاعدنا و تم توزيع وجبات علينا كانت مكونة من ملقتى أرز و ربع فخذ دجاجة وطبيخ بشع المذاق، ولكن على أى حال هو طعام. وقف نبيل ثم تحدث خلال مكبر الصوت:

- فى بداية الأمر أحب أن أشكر السادة الأطباء والصيادلة وأخص بالشكر عم سيد فى مجهوده الجبار, لقد استحق الجميع وساما جديرا بهم وهو وسام مساعدة الناس بالرغم من كل ما تلقوه من أذى, ولكنهم واصلوا عملهم ببسالة, ولازالت أقول و أكرر إن رسالتنا هى رسم البسمة على وجوه المتوجعين والضحايا والأرامل والمساكين وشكرا للجميع.

بعدما أنهى كلامه تساءلت: وماذا عن الأخوة المنظفين الذين بذلوا جهدهم فى التنظيف والتنظيم ألا يستحقون ولو كلمة طيبة تبلل من ريقهم....

وماذا عن الذين تعذبوا مع عم سيد فى سبيل إيصال مرادف الإعلان المنشود إلى عقله, وتوسلوا له بأن يقرأ من الورقة ويكف عن إضافة لمسات سحرية من عنده تودى إلى الهلاك...

ولكن لا يهم، الذى استفدته حقا التجربة وفهم عقلية كل تواجد داخل القافلة, هذا يزيد من خبرتك فى التعلم.

ولكن لم ينته اليوم عندى فلا يزال أمامى عمل بالصيدلية ولذلك أغمضت عينى واستسلمت للنوم الذى ألقى بظلاله على جفونى ...

...

أنا... أنا....م

...

5- ليلة إجهاد حقيقية

كنت أسير بخطوات سريعة نحو المنعطف, ثم أرى أمامى بحيرة حاولت أن أتفادها، ولكن حتما لامناص سوف أجد نفسى يغوص فى أعماقها, حاولت أن أوقف خطوات سيرى ولكن شيئا كان أكبر منى يدفعنى للمضى فيما أنا بصدده, حاولت أن أصرخ ولكن الكلمات خرجت دون صوت:

لا أعرف أين أنا!

وما هذا المكان؟

ثم رأيت مدفعا أمامى لا أعرف من أين برز لى، ثم انطلقت قذيفة أصابت وجهى ولكنها كانت رذاذا, قذيفة أخرى ورذاذ وصوت:

بووووووووخ.

ثم استيقظت لأجد هيثم يرشنى بالماء على وجهى قال فى غيظ:

- عشر دقائق كاملة لإيقاظك من النوم.

سألته فى حيرة:

- أين أنا؟

رد علىَّ فى هدوء:

- وصلنا بالسلامة يلا علشان تلحق الصيدلية.

نزلت من الباص ولازالت أثار النوم تداعب جفونى، سأحاول النوم هناك، ولكن هيهات هيهات, سرت إليها بأقدام متثاقلة، رأيت لمياء تنظر فى ساعتها وهى تقول فى عصبية:

- نص ساعة تأخير لو كنت أتاخرت شوية كنت قفلت الصيدلية.

ذهبت وأغلقت باب الصيدلية فى عنف ألقيت نفسى على المقعد داعيا أن يمر اليوم بسلام؛ فقد استنفدت طاقتى، وهذا خطأ آخر،لابد أن أعرف أن تكالب الأعمال فى اليوم الواحد هو مشقة, لابد أن تعرف قدر نفسك ولا تتجاوز طاقتك وإلا سيؤثر عليك بالسلب.

لحظات وانفتح باب الصيدلية ودخلت فتاة، سألتنى فى أدب جم:

- لو سمحت كنت عايزة دوا للتخسيس.

قمت من مقعدى باحثا على الأرفف، ولكن عقلى كان فى حالة غياب تام, وجدتها تسألنى:

- إيه رأيك فى شاى رويال؟

نظرت إليها ثم أحضرت علبة الشاى ناولتها إياه قائلا:

- ممتاز.

قالت لى فى مرح:

- يعنى الشاى فعال ولا مش هيجيب نتيجة؟

أومأت برأسى فحالتى لم تكن لتسمح بنقاش علمى، ثم استطردت الفتاة تتحدث بحماسة عن الريجيم, وعن الحمية وعن المأكولات, ولكن

معاناتها الوحيدة تتلخص فى اشتياقها للطعام سريعا، وخاصة الدجاج المقلى بالزيت والمتبل بالتوابل الهندية, والرقاق المبطن باللحم المفرى وشطائر الكباب المشوية على الفحم,والمحشو من أوراق العنب والباذنجان الأسود ولا ضير من وجود الباذنجان الأبيض والكوسة ويفضل وجود الفلفل المحشو بالأرز مع خلطة التوابل ثم سألتنى سؤالا بديهيا:

- هو ممكن وانا بعمل نظام ريجيم, أكل من الاكل عادى براحتى؟!

ابتسمت فى وهن وأومأت موافقا على كلامها, لم أكن أعى ما تقوله, وبرغم فداحة ما فعلت ولكنى لن أقدر على غير الإيماءة، انصرفت الفتاة بعد أن انتعش قلبها بالسعادة فرحا بالنصيحة الطبية ووجدت رأيا صائبا...لم يمض على انصراف الفتاة وقت قليل حتى رأيت أمامى سيدة تحمل طفلا صغيرا, نظرت لى ثم قالت:

- لو سمحتِ كنت عايزة أغير على طهارة الطفل, لسه عامل النهاردة عملية طهارة وعايزه اغيرله على الجرح.

اعتذرت عن عدم مقدرتى لعمل ذلك فى الوقت الحالى، ولكنها كأغلب النساء ألحت فى طلبها حتى رضخت...

وضعت الطفل أمامى وأحضرت البيتادين والقطن وما يلزم لتضميد جرح الطفل, كنت أعمل فى وهن, عضلاتى لا تقدر على حملى،عضلات وجهى مرتخية, حتى فمى لا أقدر على غلقه...أخرجت قطعة القطن وغمستها بالبيتادين ثم مسحت على مكان الجرح، كنت منهمكا جدا, ثم أحسست بسائل دافئ كريه المذاق والرائحة والطعم يدخل فمى, بالطبع لا أحتاجُ وقتا لأعى أن هذا ميعاد إفراغ مثانة الرضيع, ويبدو أنه لم يجد مكانا أفضل من فمى ليفعل ذلك, تراجعت

للوراء ثلاث خطوات, بينما شلال الماء الصادر من الطفل يهبط على أرضية الصيدلية، وبالطبع أغرق بنطالى،لم تتحمل الأم الموقف فرأيتها تتضحك وتسقط على الأرض ممسكة ببطنها من فرط القهقهة, بينما صوت ارتطام الماء بالأرضية مستمر، أحسست بالغضب ولكن لا أملك أن أفعل شيئا, توجهت للمعمل لكى أغسل وجهى وفمى بالديتول والصابون والتايد، وابتلعت بعض الأقراص المطهرة ثم أفرغت زجاجة ماء داخل جوفى، استعدت نشاطى بالطبع، ولكنى كنت أحس بدوار...

رأيت الأم تعتذر وقالت إنها سوف تنظف الأرضية، ثم استاذنت أن ترجع الطفل للبيت لم أجد مفر فوافقت على مضض وانتظرتهاوصوت يتردد داخلى:

لن ترجع أيها الأحمق، لقد أعطيت القط مفتاح الكرار.

لن ترجع أيها الأبلة ولسوف تنظف الأرضية.

هيا جهز العدة والأدوات لكى تقوم بالمهمة.

مرت نصف ساعة ولم تأت، وللأسف نظرت إلى الأرضية فوجدتها متسخة للغاية...دخلت المعمل وملأت إناء بالماء ووضعت بعض المنظفات وجلبت معى عدة النظافة وقمت بغسل الأرضية, بالطبع لم يكن متقنا ولكنه أفضل من ذى قبل....

بعدما انتهيت من تنظيف الأرضية رأيت رجلين ولكن لم يعجبنى منظرهما, أحسست أنهما مدمنان, يتأرجحان فى مشيتهما كالسلمندر فى الأدغال...

اقترب أحدهما ثم سألنى فى ثقة:

- سلام عليكم ألاقى عندك شريط ترامادول يا دكتور؟!

يا للجرأة والصراحة!! يكشف قناعه دون مهاترات ومقدمات، هذا النوع يرى أن أقصر الطرق للمطلوب هو الصراحة التامة, وقد أفصح عن نيته فى صراحة يحسد عليها.

قلت له فى أسى مصطنع:

- للأسف معنديش ترامادول.

سألنى على الفور:

- طب عندك تامول يا دكترة.

هل تعرف الشخص الذى يسأل سؤاله مرتين، ولكن يبدل الكلمات على غرار: هل عندك ماء؟ هل ماء عندك؟

إنه الشخص الذى أمامى وبالطبع يظن نفسه أنه عبقرى.

رددت عليه فى صرامة:

- للأسف معنديش أى ترامادول ولا مشتقاته !!!

وجدته يسأل فى ألحاح:

- طب أبتريل, أموتريل, زاناكس أى حاجة من دول؟!

أظهرت القناع الخشبى لوجهى ورددت فى برود:

- مافيش عندى أى حاجة.

يبدو أنى قد استفززته إلى حد ما فوجدته يصيح فى غضب:

- هتطلع غصب عنك.

تحولت إلى مشادة كلامية ووضعى لن بحتمل أن أقوم بالعراك معه فى معركة غير متكافئة, وغيرأنه فاقد الوعى، وقد يقوم بحماقة تجعلنى أخسر كثيرا.إذن الحل هو مناقشته على مستوى عقليته والتخلص منه دون خسائر تذكر....

نظرت له وقلت:

- فى صيدلية بس بعيدة جدا عن هنا أعتقد هتلاقى عندهم.

لم يقتنع بالمناورة التى أقوم بها ورد علىَّ:

- أنا مش ماشى من هنا يا كابتن.

إذن الحل هو الحرب نخوضها دفاعا عن الأرض والدواء, بالطبع سأخسر المعركة وسأحصل على وسام على وجهى.

خرجت من المكتب فى حركة عدائية ناظرا إلى عينيه فى تحد, زمجر كذئب واقترب منى ولكن زميليه جذباه من ذراعه,ودخل فى تلك اللحظة الحاسمة ممدوح، ارتاح قلبى لدخوله،ثم صاح فيهما فى انفعال:

- مالك يا كيشا وانت يا عم حواوشى فى إيه؟! مالكم بالدكتور احمد الراجل ده تبعى.

ما شاء الله ما هذا الإبداع؟! كيشا و حواوشي فى صيدليتى إنى سعيد بتوجداكما معى.

رد كيشا بعد ما عرفت أنه شهرته لا اسمه:

- الراجل ده مش عايز يظبطنا يا رنة عايزين نعمل دماغ يا جدع.

رنـة هـو الاسـم الحركـى لممـدوح لأنـه يعمـل فـى محـل الجـوالات والاتصالات، بالطبع لو كنت أنا معهم لاطلقوا علىَّ سرنجة أو لبوس أو كبسولة وغيرها من المكونات التى تعبأ بها الصيدلية.

رأيت ممدوح يجذبهم فى عنف قائلا:

- روحوا لاى حتة يا اولاد...، وآخر مرة أشوفكم هنا .

رأيت ممدوح يدفعهم للخارج ثم دخل عندى وقال:

- لازم تجمـد قلبـك يـا دكتـور العيـال دول تـديها فـوق دماغها هتمشى لكن لو شافوك خايف ينفشوا ريشهم عليك.

شكرته على تدخله فهو أنقذ الموقف فقلت له:

- شكلك تعرف العيال دول.

وجدته يبتسم فى وجهى وقال:

- دول يبقوا ولاد عمـى يـا دكتـور، ولكـن أنـا مستقيم،أنا غيرهم عمرى ما بلعبت حبوب ولا مخدرات.

عائلـة تضـم أسـماء مثـل رنـة و كيشـا و حواوشـي هـذه العائلـة لهـا مستقبل بـاهر فـى السـجل الإجرامـى حيث تعرف الغرس من الثمـار إذا كان طيبا أم لا !

سألت ممدوح سؤالا عبقريا:

- ليه اتسمى كيشا و حواوشي بالأسماء ده؟

رد علىَّ قائلا:

- علشان اسمه كريم شاكر فاخدنا الكاف والياء والشين والألف، أما حواوشي فهو شغال فى محل كشرى و حواوشي.

لحظات واندفع إلينا رجل أسمر اللون نحيل لديه شارب كث و أصلع الرأس إلا من الجانبين هتف فى وجهى:

- دكتور عندك جهاز ضغط؟

أومأت برأسى بالإيجاب, استكمل كلامه فى لهاث:

- طب مراتى ضغطها مش مظبوط وعايزك تقيسه بس هى فوق الصيدلية.

وجدت ممدوح يقول فى ترحاب شديد:

- ازيك يا حاج أبو عويس أخبارك؟ وألف سلامه على الحاجة.

ثم نظر لى وتنحنح وقدمه لى قائلا:

- الحاج أبوعويس هو صاحب العمارة ودكتور محمد مأجر منه الصيدلية وهو صاحب محل الجوالات اللى أنا شغال فيه وهما ساكنين فوق.

ثم أشار بيده إلى السقف....

نظرت إلى السقف فى بلاهة, ولكن ممدوح هزنى من كتفى قائلا:

- مش ساكنين فى السقف ساكنين فى الدور اللى فوق الصيدلية.

أومأت برأسى، لم أكن أقدر على النقاش والرد، فعقلى خارج نطاق العمل, سألنى الرجل فى أدب جم:

- ماعلش يا دكتور ممكن تطلع فوق ونقيس الضغط؟!

متهالك القوى, مجهد الكيان, متعب الأوصال أنا، ولكن سأصعد معه أخرجت جهاز الضغط وطردت ممدوح خارج الصيدلية, وصعدت معه إلى الطابق الثانى, وجدت السيدة راقدة على فراشها, يتصبب من وجهها العرق الزائد وبجوارها زجاجة ماء تشرب منها باستمرار, وشحوب زائد, بالطبع الأمر لا يحتاج إلى أى عبقرية سألته:

- هل تعانى السيدة من مرض السكر؟

رد زوجها على الفور:

- نعم عندها السكر والضغط وعملت عملية المرارة ومرتفع عندها الكلسترول و....

لم أستمع لما قاله أخرجت الجهاز وقمت بقياس الضغط، ووجدت أنه مرتفع نوعا ما، كان القياس يشير إلى 140\100

سألت أبوعويس:

- هل لديك جهاز لقياس سكر؟

أومأ برأسه بالإيجاب وناوله لى:

قمت بإخراج الشرائح ثم وخزت أصبع المريضة ثم وضعت قطرة الدم على الشريحة كان الجهاز من نوع ACCU CHECK GO، ووجدت أن السكر مرتفع للغاية, سألته:

- اتعشيتم إيه؟

نظر لى وقال:

- أتعشينا كفته وكباب وطرب بس ما تقلقش نصيبك موجود يا دكتور وانت نازل هاخلى بنتى عبير تلفه وتحطهلك فى كيس أسود.

ايها الأحمق ليس لهذا أسأل؟ نوعية الأكل قد تؤدى إلى زيادة إلى سكر.

دخلت عبير ابنته الكبرى وقالت فى توتر:

- أمى أكلت صينية البسبوسة بتاع أمبارح كلها.

صينية بسبوسة كاملة تم ابتلاعها بواسطة الأم التى تشكو من السكر؟! والآن تعانى من أعراض زيادة السكر فى الدم, الجرعة التى ابتلعتها من البسبوسة كفيلة بحجز تذكرة ذهاب دون عودة إلى العالم الآخر.

نظرت إلى عبير وسألتها:

- متى كان هذا؟

ردت عبير بصوت أقرب إلى البكاء:

- من ساعة أو ساعة ونص.

إذن الحل هو إعطاء بعض الأنسولين وإلا فزيادة السكر كفيلة بتحولها إلى أجسام كيتونية وقد تخترق الحاجز المخى مسببة لها غيبوبة...

نظرت إلى أبو عويس وسألته:

- هل اتصلت بالدكتور المتابع؟

رد أبو عويس:

- اتصلنا عليه كتير ومش بيرد خالص.

عدلت منظارى الطبى ووقفت أمام أبوعويس وقلت:

- الحل هى أبرة انسولين 5 وحدات ونقيس السكر بعدها بساعة لو ظلت مرتفعة نوصلها أقرب مستشفى.

خرجت من البيت هابطا إلى الدرج وهبط خلفى أبو عويس وهو يمسك كتفى ويسألنى:

- كم حسابك يا دكتور؟!

أومأت برأسى نفيا وقلت له:

- مافيش حساب، الأمر كان بسيط, بنقيس الضغط مجانا.

وجدت الشهامة والمرؤة قد بلغت أوجها عنده وقال:

- لا لا لازم تاخد حقك, احنا بنفهم فى الأصول .

كنت قد اتجهت إلى الصيدلية و فتحت الباب الزجاجى ودخلت وألقيت نفسى على أقرب مقعد قائلا:

- خليها المرة الجاية.

وضع يده على كتفى وقال:

- فرح ابنى الكبير عويس ولازم تحضر الفرح علشان نعمل الواحب, أنا حلفت.

انصرف الرجل ولم أقدر أن أرد عليه.

وقتها أحسست بالظلام يحاصرنى وتعب يلفنى من كل جهة،أغلقت الصيدلية ورجعت إلى البيت ألقيت نفسى على الفراش:

و تصبحون على خير.

7- فرح عويس

تذكرت دعوة أبوعويس وخاصة أنه اتصل على هاتفى الجوال وطلب منى الحضور ثم وصف لى المكان أكثر من مرة، بعدها اتصلت بهاتف الدكتور محمد مالك الصيدلية استاذنه فى ساعة لحضور حفلة الزفاف فوافق وسمح لى بالتأخير، كان ميعاد الفرح الساعة العاشرة مساء، وكان ميعادى لحضور العمل الساعة الثامنة ونصف, فوجدت أنى أتوجه إلى حفلة الزفاف أولا ثم أرجع إلى الصيدلية, ارتديت بالطبع أفضل ما عندى وهو البنطال الأزرق والتى شيرت الأبيض, وتوجهت إلى حفل الزفاف...

كان الوصف دقيقا، فقد ضللت الطريق ثلاث مرات, كنت أسأل المارة عن زفاف عويس ولكن دون جدوى، فلا أحد هنا يعرف المدعو عويس, اتجهت يمينا و يسارا باحثا عن حفلة زفاف ولكن لم أجد شيئا, قررت الرجوع إلى العمل, ولكن التقطت أذنى صوت اهتزازت قوية ثم صوت قبيح يطرب بالغناء, ما علىَّ إلا أن أتبع الصوت....

حدة الصوت تتعالى لقد بدأ الحفل الشعبي...

الغناء القبيح يزداد...

فى كل شارع فى كل حتة

هناكل وهنجرى ونحلى بفتة

الحب أنتح الحب لاظا

فلما سنتح ازداد لظاظا

ثم وجدت مجموعة من الفتيان يتجولون فى الطريق, استوقفتهم بإشارة من يدى ثم سألتهم:

- رايحين الفرح يا شباب فرح عويس؟

نظروا لى فى حيرة وقال أحدهم:

- مش فرح عويس، فرح واحد اسمه مُكشة أنت تعرفه؟!

بالطبع مكشة هو الاسم الحركى لعويس نسيت أن أسأل عويس عن اسمه الحركى, اتبعتهم إلى حفلة الزفاف, ووصلت إلى هناك بعد ما اتجهت يمينا ويسارا ثم رجعت للخلف قليلا، وبمجرد وصولى إلى هناك, انهار مسمى حفلة الزفاف لدى مخيلتى تماما, انهار تماما, فهذا الذى أمامى عبارة عن مهرجان للفنون الشعبية المنحرفة, الزحام شديد... وعلى جانبى الطريق يتراص الباعة الجائلون يبيعون الترمس, مشروبات غازية, روحية, بيرة, أرجيلة, لفافات تبغ سجائر,بانجو, حشيشا, رائحة الدخان خانقة للغاية, تتصاعد من الطريق...

ورأيت بعينى بعض الشباب الذين يقومون بإفراغ مثاناتهم على جانبى الطريق ــ أثر جانبى من آثار شرب البيرة وتدخين المخدرات ــ الجو هنا مزيج غامض بين دخان المخدرات ورائحة الحمامات القديمة....

وددت لو أرجع من هذا الجحيم الثائر, ولكنه الفضول الذى لا يرتوى أبدا, هذا الفضول الذى يقتل صاحبه, وبالطبع من باب الحماقة بالشئ, وزيادة الخبرات الحياتية تقدمت لاكتشف ذلك الحدث الهائل...

وهذه دائما الحكمة التى أسير بها, أفعل الكوارث والمصائب ثم أبرر فعلتى أنها زيادة مهارة الحياة والخبرة لا أكثر, وقد تدفعنى الحماقة لارتكاب المزيد من الكوارث....

الاهتزازت التى تصدر من مكبرات الصوت كفيلة بتمزيق طبلة أذنى.

لمحت شخصا مألوف الوجه لدى, هذا الوجه أعرفه, هذا الشخص يدعى حواوشي....

كان منزويا فى ركن بعيد و فى إحدى يديه لفافة يقوم باستنشاقها

لا داعى للكثير من العبقرية هذا الحواوشي يتعاطى الحشيش, واصلت تقدمى حتى وصلت إلى منصة العرض, حيث تتواجد كتل بشرية تتقافز فى جنون لعين...

والمطرب أيضا يقوم بحركات بهلوانية وهو يغنى أغانى على غرار هابطل السجاير من أول يناير وهأكون إنسان جديد، وعلى الرغم من بشاعة الصوت الذى هو أشد قبحا من نقيق الضفادع...

يوجد حوله بعض الفتيان الذين يشاركون بحماسة وكل منهم يؤدى دوره على أكمل وجه، منهم من يقفز على رجليه, وآخر يرفع رجله ويديه معا, وآخر يقوم بالدوران حول نفسه...

على المنصة كانت راقصة تعانى من مغص فى البطن تتلوى كما تتلوى الأفعى تماما, وبالرغم من بدانتها ولكنها كانت تقوم ببعض الحركات الصعبة مثل الدوران والوقوف مرة واحدة،

كانت تضع على وجها مساحيق التجميل بإسراف مما أحالها إلى مسخ بشع لا يصلح إلا لإخافة الأطفال الذين لايؤدون فروضهم المدرسية....

كنت أنظر إلى المنصة باحثا عن العريس والعروسة اللذين اختفيا وسط غمار الأحداث, وفجأة أحسست بيد قوية تمسك كتفى وتهزنى هزة

قوية, كان أبوعويس عندما رأنى عانقنى بقوة، أحسست بصدرى ينسحق, وقال لى شيئا لم أدر ما هوبسبب الصوت العالى...

ولكنى أومأت برأسي, وهنا أشار بيده لبعض الفتيان الذين سرعان التفوا حولى ثم حملونى, وصعدوا بى إلى المنصة, كانوا يعرفون ما الذى سيفعلونه معى؟

وجدت نفسى ارتفع إلى أعلى ثم أهبط على أيديهم حتى أحسست بالدوار, لم يكن هناك داع لهذه التحية البغيضة, ظلوا يكررون هذا الأمر حتى جاء العريس واشتعل الفرح اشتعالا, وزاد الصوت من مكبرات الصوت حتى تحس أن أذنك تكاد تنفجر, انسللت منهم خفية....

أكاد أقسم أن المغنى قد شرب الحشيش، ولهذا صوته له حدة غريبة,وهذا ما زاد الأمر بشاعة...

هذا وقت الهروب لابد, أن أنسحب من هذا الجحيم الثائر, لقد كنت أحمق عندما وافقت على قبول الدعوة, ولكن رأيت مشادة بين بائع جائل وزبون،وفى الغالب الزبون لم يدفع ثمن ما شربه, وهذا أثار حفيظة البائع الجائل....

أخرج الشاب من بين طياته مدية ولوح بها محذرا البائع ولكن السرعة فاقت كل التوقعات فقد التقط البائع عصاه الخشبية من تحت العربة ثم هوى بالعصا على رأس الشاب...

انفجرت الدماء من رأسه، ولكن البائع لم يتوقف فقد هوى بالعصا مرة أخرى على ساقه, شاب آخر رأى القتال بين صديقه والبائع فانضم للقتال ضد البائع فأخرج مدية أخرى وطعن بها البائع....

هنا تحول الحفل إلى معركة، وكما يحدث فى أفلام السينما المصرية القديمة فقد صارت الساحة قتالا بين طرفين يتراشقان بالأسلحة,

واصطدم الحابل بالنابل, وساد الهرج والمرج, أما أنا فقد اختبأت وراء كرسى منتظرا النجدة لكى تخلصنى من هذا المأزق...

لحظات وسمعت صوت أعيرة نارية وصوت أبواق سيارات الشرطة, الكل بدأ فى الفرار, فرصتى فى الهرب, فانطلقت أعدو بكل سرعة غير عابئ بما يحدث حولى حتى لاح لى الطريق واستقللت أقرب تاكسى للوصول إلى الصيدلية،أوصلتنى السيارة إلى الصيدلية، وجدت هناك الدكتور محمد مبتسما قال لى فى مرح:

- اتفقنا على ساعتين وها أنت تجاوزت الثلاث ساعات.

ابتسمت له بدورى واعتذرت له عن التأخير، وحكيت له عما حدث فى الحفل من قتال وتراشق بالأسلحة, أنهيت كلامى فخرج من المكتب واتجه إلى باب الصيدلية وقال:

- أغلب الحفلات التى تقام فى أماكن شعبية وفيها مخدرات بتقلب بخناق, نصيحة ماتروحش فرح شعبى.

رأسى يئن من الصداع, أحتاج إلى كوب من الشاى الساخن لكى ينعش رأسى, أحضرت لى كوبا من الشاى وجلست فى مقعدى منتظرا....

انفتح الباب رأيت أمامى رجلا طويل القامة مفتول العضلات له شارب, تعلو ثغره ابتسامة قال فى احترام:

- لو سمحت عايز عازل طبى.

كانت هذه المرة الأولى التى أسمع فيها ذلك اللفظ, لم أكن أدرى ما كنه العازل الطبى, أعرف أن هناك عازلا حراريا, وآخر كهربائيا وآخر بلاستيكيا، وهناك زجاجى ولكن طبى كيف يحدث ذلك؟

انتبه الرجل للحيرة التى أنا فيها فأردف:

- عازل طبى أو توبس.

ازداد الأمر غموضا لدى, أنا لم أفهم ما تعنيه كلمة عازل طبى فهل سأفهم التوبس...

ازدادت ابتسامته وقال لى:

- مش عارف اشرحلك ازاى؟

لكن أشار إلى جانب هناك قائلا:

- هتلاقيه هناك فى الركن ده هى كارتونه سوداء صغيرة.

ذهبت إلى هناك ووجدت كرتونة صغيرة عليها رسومات لرجل يطير فى سعادة, ناولته له فقال الرجل لى:

- انت جديد فى المكان؟ أنصحك تلف تانى على الصيدلية وتعرف كل حاجة؟

أومأت برأسى موافقا, فكرت فى الأمر وجدته على صواب فقد قمت بالتركيز على الدواء والجانب الطبى وتركت الاكسسوارات الطبية...

استغرقت فى التفكير مدة طويلة غير عابئ بالباب المفتوح...

ولكن مرقت كتلة سوداء بسرعة تقارب سرعة البرق من الباب ومرت جانب قدمى واستقرت فى المخزن, يا للكارثة هذه الكتلة السوداء ما هى إلا فأر أحمق لم يجد إلا الصيدلية ليبحث فيها عن لقمة العيش ويتخذها سكنا له, أحسست بالغضب يملؤنى؛ فوجود هذا الضيف غير

المرغوب فيه سيؤدى إلى أزمة، لابد من التخلص منه فى حكمة وهدوء ودون تعصب, استغرقت فى التفكير لأتخلص من ذلك الفأر، هل استخدم السم, سيؤدى ذلك إلى موته دون أن ندرى منتظرين صعود رائحته حتى نعرف أنه قد قضى نحبه، أو نستخدم الصمغ القوى للإمساك به ولكن قد يهرب من الصمغ, الفئران التى لدينا لها عقل يتجاوز عقول البشر، الحل هو مصيدة ونضع له طعما عندما يجوع ستتغلب شهوة الجوع على تفكيره، ويضطر إلى الدخول إلى المصيدة وهنا سنوقع به ولكن من يملك مصيدة فى ذلك الوقت؟

قفز إلى ذهنى اسم واحد..، بالطبع ممدوح، سأجد لديه المصيدة.

تركت الصيدلية وذهبت إلى ممدوح حيث يعمل فى محل بجوار الصيدلية بخطوتين لا أكثر....

عندما رأنى تهلل وجهه وقال فى سعادة مبالغ فيها:

- يا مرحبا وأنا أقول المحل نور ليه.

ابتسمت له بدورى قائلا له:

- ممدوح دخل عندى الصيدلية فأر وعايز اتخلص منه, عندك مصيدة؟!

رد على ممدوح وهو يحك رأسه دلالة على التفكير عند بعض الناس أن لن تكن أغلبها:

- أيوةاعتقد عند عم عطيه بتاع الطعمية.

اندهشت عندما علمت تواجد المصيدة لدى عم عطية سألته فى حذر:

- هى المصيدة ليه موجودة عند عم عطية؟

رد ممدوح وهو ينظر لى نظرة غريبة:

- علشان كان عنده مزرعة فئران جوه المطعم بس قدر يقضى عليها.

يا الهى وقد ظللت أتناول من عنده طعام العشاء لمدة شهر كامل، أحسست بالمغص جراء حديثه، فأمسكت بمعدتى وأنا أتلوى كسحلية لديها إسهال مزمن.

أردف ممدوح قائلا:

- يلا نلحق عم عطيه ونجيب من عنده المصيدة.

أمسكت بكتفه وسألته:

- أزاى عرفت أن عم عطيه كان عنده مزرعة فئران.

هز كتفه فى براءة قائلا:

- لأنه سألنى إذا كان عندى مصيدة ولا لأ.

استوقفته وسألته فى غباء:

- يعنى المصيدة مش بتاعة عم عطية, أومال تبقى بتاعة مين؟!

رد علىَّ ممدوح فى حماس:

- المصيدة بتاعة عم أمين بتاع مخبز الحلويات ودخلت عنده فأرة كبيرة وتزواجت مع فأر وولدت هناك وشكلها هى السبب فى موضوع الفئران.

الأمر تطور جدا، بالفعل أحسست برغبة فى إفراغ ما فى جوفى، فقد كنت أتناول بعد طعام العشاء قطعة من الحلويات من المخبز, هذه المرة الأخيرة التى سأتناول فيها طعاما أو شرابا خارج البيت...

توجهنا إلى عم عطية صاحب محل الفلافل ووجدنا هناك شابا صغيرا يعمل، سأله ممدوح عن المصيدة فرد عليه إنها بالداخل،دخل ممدوح وأخرج المصيدة وناولنى إياها, كانت منظرها يوحى بأنها لم تتعرض إلى تنظيف مدة عام كامل, رجعت إلى الصيدلية بعد ما شكرت ممدوح على حسن صنيعه معى، أحضرت معى قطعة من لانشون اقترضتها من جارى, ووضعتها بداخل المصيدة منتظرا الفأر لكى تغريه ويسقط فى المصيدة....

سمعت صوت هاتفى النقال يصدر أزيزه المعتاد، وجدت المتصل دكتور محمد على شاشة الجوال رددت على الفور:

- السلام عليكم ازيك يا دكتور محمد؟

- أحمد بكره فيه حصر للصيدلية ومحتاجك معاى الصبح ممكن تقفل دى الوقت وتيجى بكره الساعة عشرة صباحا.

- حاضر يا دكتور محمد كام واحد هيحصر معانا الصيدلية؟

- أربعة أنا وأنت و فاطمة و لمياء، بس ماتتاخرش هاستناك بكرة، باى يا دكتور.

أغلقت الصيدلية استعدادا للحصر غدا، وبالتالى سيكون اليوم التالى يوما مرهقا و مليئا بالأحداث الدسمة.

8- حصر الصيدلية

فى تمام العاشرة والربع صباحا اجتمعنا، كانت متواجدة أم سلامة أوفاطمة ثم لمياء ثم أنا ثم دكتورمحمد.

لاحظت أن فاطمة تحمل حقيبة كبيرة تحوى اللونين الأبيض والأسود فى يديها، تساءلت فى داخلى: ماذا تحوى هذه الحقيبة؟ لابد انها تحوى طعاما, أو مخبوزات.

أغلقت الباب الزجاجى بالمفتاح, وقمت بترتيب الورق الأبيض وترقيمه, وتوزيع الأقلام على الفريق...

أولا الحصر لابد أن نتوقف فى ذلك اليوم عن البيع حتى نستطيع حصر الصيدلية فعليا, وقف الدكتور محمد فى المنتصف وهو يلقى التعليمات...

قائلا:

- أولا دكتور أحمد هيجرد الأقراص والكبسولات لغاية نهايتها, مدام فاطمة هتجرد الأشربة، أما لمياء هتجرد الاكسسورات وأنا هاجرد الحقن واللبوس والفوارت والنقط واللى يخلص الأول يساعد زميله، بالإضافة إلى أن التواريخ القريبة تلات شهور قدام هنتطلع من الرف لو وجدنا دوا منتهى الصلاحية نرميه فى كرتونة الاكسبير.

قبل الشروع فى العمل وجدت فاطمة تلوح بيدها للجميع قائلة:

- قبل ما نشتغل لازم نفطر أنا حضرت ساندويتشات معاى فنوزع الفطار وبعدين نبدأ الجرد.

ثم فتحت حقيبتها وأخرجت شطائر من الجبنة والبطاطا المقلية و الفول والفلافل والمسقعة...

وضعتها أمامنا فى طبق فوق المكتب, تجمعنا حول المكتب وبدأ كل منا فى سحب شطيرة أمامه ولكن الأكل كان ممتلئا بالثوم...

الفول عليه خلطة ثوم والبطاطس المسلوقة عليها ثوم، حتى المسقعة عليها ثوم هذه السيدة تستخدم الثوم كمكمل غذائي....

أنهينا الإفطار ولكنى أحسست أن الثوم بدأ يقوم بمهامه...

كانت لمياء هى الأكثر التهاما فى الشطائر، وبالتاكيد ستتحول إلى مضخة غاز طبيعى بعد ربع ساعة...

التهمنا الشطائر فى نهم شديد ثم نسيت أن أسألها عن مصدر تلك الشرائح...

بدأ توزيع الأوراق، كل أخذ موضعه ثم بدأنا فى الحصر....

كان الحصر عددا ثم سعرا ثم تاريخا....

سألت لمياء فى مرح:

- من منكم يريد أن يشرب شايا؟

بالطبع الكل رفع يده وذهبت هى إلى المعمل لتحضير الشاى، بالطبع هى ليست ذاهبة للمعمل لعمل الشاى، ولكن لافراغ ما لديها من تراكم للغازات داخل القولون...

أنا أعرف هذا ولكن كيف عرفت ذلك؟ ببساطة لقد سحبت معها عبوتين من معطر الجو دون أن يشعر أحد فالكل منهمك فى الحصر بالطبع ولكنى لاحظت ذلك...

أغلقت لمياء باب المعمل وراءها فى إحكام منعا للتسريب...

لحظات مرت وأحسست بمغص لابد أن الثوم يتلاعب معى لن أقدر أن أصبر.

ولكن حدث ما لم يكن فى الحسبان، فقد صرخت لمياء صرخة قوية, اندفعنا كلنا نطرق على الباب بعنف...

فتحت لنا الباب وهى تقول فى خوف:

- فار.. فيه فار جوه المعمل.. انا شفت فار...

بالطبع لم يحتمل الفأر كم الغازات المتصاعدة والتى كانت كفيلة بقتله, فأصيب بالاختناق ولذلك خرج من مكمنه لكى ينفد بجلده ولكنه لم يستطع.

يبدو أنى نسيت أن أحكى لهم عن الفأر الذى اخترق أمس الصيدلية، نظرت إلى دكتور محمد الذى بدا متسائلا وقلت:

- امبارح دخل فأر جوه الصيدلية واختفى فى المعمل.

صمت لحظات ثم قال:

- مش هنعرف نجرد طالما الفأر ده موجود،أول شئ نخلص منه تماما هندخل انا وانت ونقفل المعمل و نحاول نخلص منه لأن المصيدة هتاخد وقت ممكن يومين وممكن تلاتة.

إذن المهمة أصبحت الآن التخلص من ذلك الكائن المتطفل الذى اخترق المعمل, وأصبح وجوده خطرا....

أشار الدكتور محمد بيده إلى كل من لمياء و فاطمة أن يستكملا الجرد إلى أن نتنهى من التخلص من الفأر.

دخلنا معا المعمل وأغلقت الباب كانت رائحة المعمل غريبة رائحة المعطر ممتزجة برائحة الصرف الصحى كم هو مسكين ذلك الفأر لقد عانى من نوبة تسمم, ناولنى عصا غليظة ثم قال لى:

- هاحاول أنى أخرجه من مكانه وانت أضرب بالعصا عليه.

المعمل يتكون من حمام و موقد بدائى ذات عينين، هناك حوض لغسل الأيدى ويكمن تحت دولاب مغلق مساحة المعمل طوله مترين وعرضه متر ونص يحول على أرفف تحوى كراتين من الدواء بجانب كل ذلك تتواجد ثلاجة لحفظ الدواء الذى لابد أن يحفظ فى درجة حرارة باردة مثل الأنسولين وغيره..،

بدأت أفحص تحت الحوض ووجدته سليما لايوجد أثر له.

سوف نقوم بإزاحة الكراتين عن مكانها, لاحظت كرتونة قديمة بداخلها فواتير قديمة...

أمسك يدى ثم قال:

- سأزيح الكراتين وهو هيتحرك طبعا, أول ما تشوفه تضربه بالعصا.

بدأ يحرك الكراتين عن مواضعها, وعند الرف الأخير الأرضى انحنى ليحرك كرتونة, وفجأة خرج الفأر وهرول بسرعة تتجاوز سرعة طائرة, بالطبع كان رد فعلى متأخرا من أثر الرائحة الغريبة....

فلم أفعل شيئا ولكنى لمحت أنه اتجه إلى أسفل الحوض, الأمر أشبه بالعبث، فلن نقدر على اصطياده بهذه العصا المتهالكة، كما أن سرعته تتجاوز مقدار رد الفعل لدينا, تحرك الدكتور محمد تجاه الحوض ثم حرك الأنبوبة البلاستكية التى تبرز من الحوض، وكالمعتاد تحرك الفأر ولكنى هذه المرة هويت بالعصا بعنف عليه, وأصبت الهدف ولكن كان هدفا خاطئا....

سمعت صوت الدكتور محمد وهو يئن فى ألم ممسكا برأسه, لقد هويت بالعصا على رأسه, امتقع وجهى فقد أصبت رأسه, رأيته يترنح ثم جلس على أرضية المعمل وهو يبتسم فى ألم قائلا:

- نشنت يا فالح, ضربت رأسى بدلا من رأس الفأر.

لم أدر ماذا أفعل؟

اقتربت منه وقلت فى جزع:

- أنا آسف جدا ماكنتش أقصدك بس الضربة جات فيك, انت حاسس بألم؟

اعتدل واقفا وهو ينفض عن بنطاله ذرات الغبار التى تعلقت نتيجة جلوسه, وخرج من المعمل ثم ربط رأسه برباط، والتفت إلى قائلا:

- يلا نكمل الجرد, سيبك من الفأر دى الوقت وهو هياخد نصيبه فى المصيدة.

كانت فاطمة و لمياء ينظران لى نظرة أشبه بالسخرية ولكنى تجاهلت الأمر تماما...

وهكذا كانت طريقة الجرد, قمت بإحصاء الرفوف ووجدت أمامى 24 رفا سأقوم بحصرهم, أحضرت كرسيا ووقفت عليه وبدأت بالعمل حصرا بالعدد و التاريخ والسعر, استغرقت قرابة ثلاث ساعات....

وجدت فاطمة قد أنهت عملها وانضمت للمياء،أما بالنسبة للدكتور محمد كان مايزال يحصر الأقماع بعد ما أنهى الحقن والمجفدات....

أحسست بالتعب وكنت فى شوق لكوب من الشاى، لذا رفعت يدى وقلت بصوت عالٍ:

- حد عايز كوب شاى معاى؟

كالمعتاد ارتفعت أيدى الجميع وخاصة لمياء وقد رفعت يديها الاثنتين، نظرت له وسألتها:

- ليه رفعتِ الاتنين؟

ردت فى تشف واضح منى:

- للتاكيد طبعا، تانى شئ عايزة أشرب منك كوب شاى بس خالٍ من الصابون, اغسل الكوبايات كويس.

لقد كنت أعذبها بموضوع تحضير الشاى يوميا وها هى قد وجدت فرصة للانتقام...

دخلت المعمل، سأقوم بغسل الاكواب, ولكن سمعت صوت صغيرا من أسفل الحوض, الفأر يتحرك من الأسفل ببطء شديد جدا، نظرت إلى أسفل كان مختبئا, تناولت العصا وببطء شديد اقتربت منه, وعندما أحس

بالأمر لاذ بالفرار ولكنى هويت بالعصا بكل عنف على راسه, وقد أتت الخطة ثمارها, تلقى الضربة فى عنف وأخذ يترنح، هويت مرة ثانية وثالثة وأخيرا استلقى على جانبه وقد فقد الحياة, حركته بالعصا حتى أدخلته المصيدة ثم أغلقت المصيدة خرجت رافعا المصيدة فى انتصار قائلا:

- لقد قتلت الفار.

صرخت لمياء صرخة قوية وهى تقول:

- انت جايب المصيدة هنا, ارميها بعيد عن هنا.

وددت لو أنى هويت بالعصا على رأسها، ولكن لاوقت لدينا، أخرجت المصيدة ثم توجهت إلى أقرب صندوق قمامة متواجد بالشارع ثم فتحت المصيدة وألقيته خارجا إلى داخل صندوق القمامة، رجعت إلى الصيدلية, ودخلت المعمل ولكن لمياء صاحت بى:

- هتعمل إيه فى المعمل؟

رددت عليها:

- هاروح اعمل شاى طبعا.

رفعت يدها ملوحة لى بعدم الاقتراب قائلة:

- سيادتك ممنوع من دخول المعمل أسبوع لغاية ما تعقم إيديك كويس وبالمناسبة ارمى العصاية علشان مليانه جراثيم كمان.

زمجرت فى غضب وقلت لها:

- عايز اشرب كوب شاى.

أخفضت رأسها فى استسلام وقالت:

- أمرى لله, انا اللى هاعمل الشاى.

كان الجميع ينظرون لى وكأنى فى غرفة عزل صحية أو كأننى مريض بالطاعون، فقد ابتعد الجميع منى خشية أن تكون العدوى انتقلت إلىَّ أثناء قتالى مع الفأر، شربت كوب الشاى ثم وجدت الدكتور محمد يقول:

- دكتور احمد حضرتك النهاردة اجازة وممكن تيجى بكرة فى دوامك.

نظرت له متسائلا عن السبب الذى أعرفه،رأيته يقول وهو يهز كتفيه:

- مجرد أجازة يوم واحد وممكن تيجى بكرة فى ميعادك.

الاوغاد بعد ما خلصتهم من الفأر الكل يتخلى عنى, لا بأس سأستفيد بليلة إجازة، سأقوم بنزهة فى المدينة, و أشرب القهوة مع صديق لى, غادرت الصيدلية ثم رجعت للمنزل، وألقيت نفسى على الفراش, نمت قرابة الثلاث ساعات ثم اتصلت بصديقى هيثم على الهاتف الأرضي:

- الو, السلام عليكم, ازيك يا هيثم, فاضى الليلة دى؟!

- وعليكم السلام, لا مش فاضى, بس انت مش عندك شغل الليلة دى؟!

- لا ماعنديش شغل, فاضى الليلة دى.

- طب كويس جدا ما تيجى تنضم إلينا.

- انضم إليكم فين؟ !!

- احنا فى مقر الجمعية اللى كانت نظمت القافلة الطبية عندنا كراتين دواء وعايزين نصنفها ونرتبها فلو تعرف حد يجى يساعدنا.

- طبعا أعرف ناس من دفعتى.

- ممتاز هاستناك بالليل بعد العشاء تيجى انت وزمايلك.

بعد ما انهيت مكالمتى مع هيثم اتصلت هاتفيا بأصدقائى الذين أبدوا سعادتهم للمشاركة فى ذلك المشروع.

***

كنا أربعة، استقلينا سيارة حتى نصل إلى مقر الجمعية والقاطن فى أطراف المدينة, المقر عبارة عن بناية تتكون من ثلاثة طوابق،وتتكون من طابق سفلى وهذا الطابق فيه غرفتان كبيرتان, غرفة مخصصة لجمع الملابس القديمة وفرزها وغسلها, والغرفة الأخرى لجمع الأثاث القديم والأدوات المنزلية، وهى أكبر من غرفة الملابس,

الطابق العلوى الأول مكون من أربع غرف: غرفتين للدواء، غرفة لجمع الدواء وفرزه، والغرفة الثانية مكونة من أرفف توضع بها الدواء المفروز،والأخرى لجمع الطعام وتوزيعه على المساكين، والطابق الثانى هو إدارة الجمعية والمحاسب والأنشطة والمدير.

وهذا العمل التطوعى أنشأه شباب عن طريق التبرعات والجهود الذاتية ولكن رجلا ثريا تبنى الأمر وأصبح ينفق عليه.

عندما وصلنا إلى هناك وجدنا المكان يعج بالشباب من مختلف الأعمار, وبالطبع كل ذلك يجرى تحت ترخيص من وزراة الداخلية وخاصة أمن الدولة الذى كان يحمل اسما مرعب كفيل ببث الرعب فى الأوصال.

فلابد قبل أن يقوم أى ائتلاف شباب بعمل أى شئ، لابد من المرور عليه,وتصريحا آخر من المحافظة, كل هذا لايهم, لقد انطلقنا أنا بصحبة زملائى الأربعة التقينا هيثم، الذى استقبلنا فى ترحاب شديد ودعانا للجلوس معه فى الداخل، كان هيثم مبتهجا، كان زملائى أشرف وفهمى ورأفت يدرسون معى فى نفس العام الجامعى.

نظر هيثم إلينا وقال:

- أولا هنعمل إفراغ للكراتين من محتويات الدواء وبعد كده هيتم تصنيف الدواء على حسب تاريخ الصلاحية وبعدين سنوزع الدواء على الأرفف حسب ترتيبهم الأبجدى أنتم أعرف منى فى الموضوع ده.

قال رأفت:

- كام كرتونة هنشتغل فيها؟

رد هيثم:

- عندنا حوالى أكتر من عشر كراتين دوا هى تبرع من بعض المرضى وفيهم دواء اشتريناه بالمال الخاص.

سألت أنا بدورى هيثم:

- كام متاح وقت لينا علشان نحلص الكراتين؟

حك هيثم ذقنه وهو ينظر لى ثم قال:

- أعتقد لازم على الأقل يومين.

نظرنا إلى بعض، ثم تركنا هيثم و توجهنا إلى غرفة الدواء،كانت غرفة كبيرة وبها مكيف بارد للهواء, كانت الكراتين مغلقة ومتراصة، كل كرتونة فوقها كرتونة من الدواء، بدأنا نفتح الكراتين وخاصة كل واحد منا اختار كرتونة، وبدأ فى إفراغ محتوياتها على منضدة مستديرة, ثم جلس كل واحد على مقعد لكى يقوم بعملية الفرز, انهمكنا فى العمل حتى مرت على تواجدنا ساعتان من الزمن, وجدت فهمى يدفعنى بمرفقه فى جانبى قائلا:

- انا مش هاقدر أكمل، أنا جعان جدا.

وبالطبع كما تعلم، فإن الجوع ما هو إلا إحساس معدى، فما أن تصرح به حتى تجد كل الناس أمامك جوعى, توقف الجميع أمام كلمته وأبدوا رغباتهم فى تناول العشاء, تركتهم وذهبت لإحضار العشاء، وفى الخارج قابلت هيثم الذى قد أنهى عمله وترك معى مفتاح المقر لكى أغلقه ثم أسلمه له غدا, خرجت خارج المقر وأغلقته بالمفتاح، ثم توجهت إلى أقرب مطعم فلافل.

كانت رائحة الطعام الساخن تفوح فى غزارة، معدتى الصغيرة تئن من الجوع، طلبت من الرجل أن يجهز شرائح من الفلافل والفول والبطاطا المقلية والجبنة المخلوطة بالطماطم و البيض بالطبع، كل على حدة.

سألنى الرجل فى غلظة:

- عايز شطه يا كابتن، أحطلك شطة وبهارات وفلفل؟

رددت على الفور:

- بلاش شطة بس حط بهارات، و أتوصى كويس.

ضاع كلامى وسط الضوضاء المحيطة بالمكان من الزبائن وصوت ارتطام الفلافل النيئة بالزيت المغلى.

أخذت الشطائر من الرجل بعدما نقدته ثمنها وانطلقت إلى المقر، فتحت الباب وجدت أصدقائى واجمين من الضيق بعدما حبستهم فى المكان.

كان أول من استنكر هو رأفت الذى قال فى غضب:

- ما ينفعش انك تحبسنا وتمشى, افترض حصللك حادث كنا هنعمل إيه؟

رددت عليه محاولا توضيح الأمر:

- أنا قفلت الباب لانى خفت أى حرامى ممكن ييجى يسرق كراتين الطعام أو الملابس, لكن ماقصدش أنى أحبسكم هنا.

تدخل رأفت محاولا تهدئة الأمر:

- مش مشكلة الموضوع، أنا جعان جدا، جبت الأكل معاك؟!

أومأت برأسى ووضعت أمامهم شرائح الفلافل, تجمع الكل حول المنضدة، و بدأنا تناول الطعام فى نهم، أنهينا الطعام ولكننا أحسسنا بالشطة الحارقة، أحسست بحرقة فى اللسان ثم فى المعدة...

لقد وضع الرجل الكثير من الفلفل الحار والشطة التى بدورها سببت لنا حموضة قوية وحرقة شديدة بالمعدة.

بعد تناول العشاء أحسسنا بالكسل يسيطر على أجسادنا والنوم ينساب فى عقولنا, كانسياب الماء فى المصارف,تكاسلنا عن تكملة العمل فأجلناه للغد, وغادرنا المكان لكى نرحل إلى بيوتنا, ولكن حرقة المعدة ازدادت حدة, بحثنا عن فوار لعلاج الحموضة ووجدنا علبة التقطناها فى أيدينا, كان الوقت متأخرا, بحثت عن أى كولدير يستخدم لإرواء الناس من ظمئهم لكى نحتسى الفوار ووجدت واحدا, كان رأفت متعجلا فقد أشار إلى سيارة تاكسى لكى تتوقف وتقلنا إلى بيوتنا قبل أن نشرب الفوار,تجمعنا أمام الكولدير, و وزعنا أكياس الفوار كيسا واحدا لكل منا.

بدأنا فى إفراغ محتويات الكيس داخل الكوب ثم جرعناه دفعة واحدة, ولكن السائق نظر إلينا نظرة ارتياب وشك عندما رأى كلا واحد منا يقوم بذلك.

انتهى رأفت من شرب الكوب ودفع بنفسه داخل السيارة ثم أفرغ فهمى محتويات الكيس ثم جرع الكوب دفعة واحدة, لم يحتج السائق الكثير من الذكاء ليتاكد أننا كنا نحتسى شئ ممنوعا.

أنهى الجميع شرب الفوار وانحشرنا داخل السيارة، نظر لنا الرجل فى ارتياب, قال فهمى وهو يجفف قطرات تسللت من فمه:

- هنروح نص البلد.

لم يكمل الجملة حيث انتابته حالة من الفواق جراء شرب الفوار.

بالطبع صدق حدس السائق الذى تأكد أننا كنا نحتسى مشروبا كحوليا, هم قد يفعلون أى شئ غير طبيعى،اعتذر السائق عن الانطلاق

متعللا أنه لن يقدر أن يذهب فى ذلك الوقت المتأخر, تكلمت إليه فى غضب:

- مش هننزل من العربية.

ثم تجشأت فى وجهه بالطبع نتيجة للفوار الذى قام بهضم الطعام،امتقع وجهه فى رعب ثم أدار محرك السيارة فى سرعة وكأن عصابة ما تطارده, حتى وصل إلى المكان المنشود, هبطنا من السيارة وقبل أن ننقده المال مقابل التوصيل, رأيته يهم بالانصراف, حاولت أن أوقفه ولكنه انطلق غير مبال بنا وانطلق فى سرعة, كأنما أسعده أن يتخلص من ذلك الكابوس, مال علىَّ أشرف وقال:

- السواق ظن بينا أننا كنا بنشرب كحول أو بنتعاطى بودرة.

رددت عليه وأنا أعدل منظارى الطبى:

- علشان كده نفد بجلده وما أخدش الحساب.

هز رأفت رأسه غير مصدق قائلا:

- اعتقد أن عنده مرض نفسى.

قلت له:

- الموضوع سوء تفاهم لا اكتر ولا أقل.

9- سرقة الصيدلية

فى اليوم التالى ذهبت إلى الصيدلية فى ميعادى, دخلت الصيدلية ولكنى لم أجد لمياء, ووجدت بدلا منها د. محمد الذى أخفى وجهه فى راحتيه تنححت فى قوة وقلت:

- السلام عليكم ازيك يا د. محمد, أمال فين لمياء مشيت بدرى النهادرة؟!

نظر لى بنظرة مليئة بالحزن وقال:

- لمياء مشيت بدرى لانها كانت موجوده من الضهر النهاردة.

بالطبع لم أرد أن أسأل عن سبب الحزن خشية أن أظهر فى هيئة المتطفل, ولكنى سألته:

- مش من المفروض أن فاطمة هى اللى شغالة الضهر؟

قام من مقعده ثم أطلق تنهيدة حارة قائلا:

- فاطمة اتطعنت النهاردة على إيد حرامى, دخل الصيدلية وطعنها وسرق خمسة آلاف جنيه.

طعن العاملة التى تعمل هنا له أثر كبيرسئ للغاية...

أولا سيؤثر على نفسية العاملة مدى الحياة، وسيظل كابوسا يلاحقها كلما تذكرته...

ثانيا: سترفض معاودة العمل مرة أخرى، وإذا رضخت أن تعمل، فسوف تعمل فى مكان آخر حتى لا تعاودها الذكريات الأليمة.

ثالثا: الطعن قد يؤدى إلى جرح خطير أو شلل أو نزيف داخلى، وكلها كفيلة بملازمة المطعون للفراش فترة طويلة لا بأس بها.

رابعا: الألم البدنى المصاحب للطعن, وقد يستغرق فترة كبيرة لعلاج الألم فقط.

لابد من الإمساك بهذا الحقير وتسليمه للعدالة فى أقرب وقت, غرقت فى شرودى فقاطعنى د. محمد قائلا:

- أنا المشكلة عندى هى الطعن, الفلوس تروح فى داهية ولكن حياة الشخص ما تتعوض بالمال.

حككت ذقنى وأنا أنظر اليه ثم قلت:

- وحالة فاطمة دى الوقت إيه؟ هل فيه مضاعفات أو جرح خطير؟

رد على د. محمد قائلا:

- حالتها كويسة الجروح كانت سطحية أنا رحت المستشفى بنفسى واطمنت بس حالتها النفسية صعبة كانت مقطعة نفسها من العياط.

هززت كتفى وقلت:

- ده الطبيعى ليها بعد اللى حصل, بس أولا أعتقد ان فيه حد قريب يعرف موضوع الفلوس.

هز رأسه نفيا وقال:

- محدش يعرف، أنا حطيت الفلوس فى الصيدلية من بالليل و اتصلت بفاطمة الصبح، وقلتلها ان فى مندوب هيعدى عليكِ..، ادى له الفلوس مقابل الفواتير اللى هيسلمها لكِ.

سألته وأنا أحاول استيعاب كلامه فى ذهنى:

- اتصلت عليها ازاى؟ التلفون معطل و فاطمة مش معاها تلفون محمول.

أشار بيده ناحية الكابينة التى يعمل بها ممدوح وقال:

- خليتها تتصل بىَّ من الكابينة سبت ورقة انها تتصل بى ضرورى.

جلست على المقعد المقابل للمكتب وأنا أفكر....

ستذهب فاطمة للكابينة وتتحدث إلى د. محمد وهى تمتلك صوتا عاليا، وبالتالى سيستمع من كان متواجدا بالكابينة لها وسيفهم أن عندها مبلغا من المال, إذن يوجد لدينا شخص مثل ممدوح يمكنه الاستماع إلى المكالمة فى سهولة, أو أحد المتواجدين.

سألت د. محمد:

- أنت رأيك أن ممكن ممدوح يعمل الجريمة ده؟!

نظر لى فى استنكار وقال:

- مستحيل إن ممدوح يعمل كده أنا باثق فيه جدا, تانى حاجة هو أول واحد اتصل بى واتصل بالإسعاف, وراح معاى المستشفى لغاية ما اطمننا على حالة فاطمة.

قلت له وانا غير مقتنع بكلامه:

- ولكنه عنده المقدرة انه يسمع المكالمة, ويروح يطعنها ويرجع تانى للكابينة ويعمل نفسه انه متفاجئ للى حصل ويطلب الشرطة والإسعاف علشان يبعد عن نفسه الشبهات.

نظر لى وابتسم قائلا:

- شهادة فاطمة أكدت أنه مش هو, هى قالت إنه شخص كبير وعريض لابس بنطلون جينز أسود وقميص أزرق مقلم ومغطى نص وشه برباط ضغط، ممدوح كان لابس ترنج أزرق, وحجمه مش ضخم زى الراجل اللى اعتدى عليها.

لحظات ساد الصمت بعدها ثم قلت له:

- كم واحد كانوا متواجدين لما فاطمة اتصلت بيك فى الكابينة.

أطرق رأسه مفكرا ثم أجاب:

- مش عارف، بس ممدوح دى الوقت فى النيابة وهى بتحقق معاه, بالمناسبة كده فاطمة هتاخد على الأقل أسبوعين مش هتيجى، لمياء هتيجى الصبح وأنا هاحاول إنى أجى بدرى هاحتاج منك بس لو تيجى ساعة زيادة قبل ميعادك.

أومأت برأسى موافقا, قام من المقعد ثم انصرف من المكان, تركنى والتفكير يكاد يقتلنى...

من الذى فعلها؟

كيف عرف بتواجد الفلوس؟

أحسست برغبة ملحة لاحتساء كوب من الشاى الساخن, دخلت المعمل ثم أحضرت لى كوبا من الشاى, جلست على المقعد وعقلى غارق فى التفكير، غدا لابد من زيارة سريعة لكل من فاطمة و ممدوح.

رأيت أمامى طفلا صغيرا يدخل الصيدلية ثم سألنى فى براءة:

- عمو هو عربية الإسعاف جت النهاردة ليه؟

نظرت له فى دهشة, أعلم أن هذا الطفل ما هو إلا طليعة قد أرسلته أمه للتطفل على الاخبار قلت له:

- لا أبدا كان زيارة بسيطة وانتهت.

نظر لى وكأن لم يعجبه ما قلته ثم قال:

- بس طنط فاطمة اسمع انها ضربوها بالسكينة

استمررت فى التحديق له ثم قلت له فى ملل:

- روح يا ابنى من هنا، أنا مش ناقصك.

نظر لى نظرة قاسية ثم قال:

- انت بتزعقلى يا عمو علشان انا باحاول أساعدكم بكرة هاعرف مين السبب؟ وهتيجوا تشكرونى.

ثم انصرف من الصيدلية, تبا لمسلسل المحقق كونان، لا يأتى من ورائه إلا المشاكل، فقد أدمن الأطفال مشاهدة المسلسل والنتيجة كما ترى, ينتظرون الجريمة بفارغ الصبر لكى يؤدون دور المحقق.

جلست أفكر فى الأمر: من الذى يمكنه أن يفعل هذا, لابد أنه شخص قريب يعرف الصيدلية, ويعرف الفترة التى يكون فيها الزحام قليلا,

شخص من المنطقة عرف أن الصيدلية بها مبلغ خطط وقام بفعلته, كنت مستغرقا فى تفكير ولم أنتبه إلى الشخص الذى دخل الصيدلية، رفعت نظرى إليه فوجدته ممدوح كان فى حالة إعياء شديد...

ارتمى هو إلى أقرب مقعد ثم رفع رأسه وقال:

- عرفت اللى حصل النهاردة؟

نظرت له نظرة كلها شك وريبة حيث لا يزال لدى شك به أنه يكون الفاعل وقلت فى حذر:

- عرفت النهاردة من د. محمد، وزعلت جدا على فاطمة مسكينة ماتخيلتش انها ممكن تقع فى موقف زى ده.

قال:

- ولاد الحرام ماسابوش لأولاد الحلال حاجة, الدنيا بقى مافيهاش أمان.

كانت هناك مشاعر غريبة تنتابنى، وددت لو أخترق عقله لكى أستخلص منه ما يخفيه داخله, نظر لى نظرة طويلة، ثم فهم الأمر على الفور قام من مقعده ثم قال فى عصبية مبالغ فيها:

- عارف أنك شاكك فىَّ بس أنا عمرى ما أعمل حاجة زى دى, عمرى ما هأمد ايدى فى الحرام، وعمرى ما ارفع سلاح على حرمة، أنا راجل يا د. أحمد شربت شاى وأكلت معاك عيش وملح والعشرة ما تهونش إلا على ولاد الحرام, وأنا أصون العشرة وعمرى فى حياتى ما كنت خاين للنعمة.

فاجأنى بثورته فقلت له موضحا الأمر:

- أنا مش باتهمك ولكن...

قاطعنى فى غضب هادر:

- أنت مش بتتهم بلسانك، أنت بتتهمنى بعينيك.

ثم هب من مقعده واقفا وهم بالانصراف لولا أنى أمسكت بيده ثم قلت له:

- أنا آسف ولكن انا متضايق جدا ومش عارف ازاى ده حصل، باحاول أنى ألاقى أى تفسير مقنع.

وجدته يطرق رأسه فى أسى قائلا:

- كلنا مضايقين لان واحدة من الحتة اتطعنت واعتدى عليها واحد خسيس, بس مصيره يقع فى ايديَّ ومش هارحمه.

سألت ممدوح فى جدية:

- ممكن تحكى لى من ساعة ما فاطمة جات عندك الكابينة لغاية ما دخلت عليها الصيدلية.

وجدته يجلس على المقعد ثم يسند ظهره للخلف ويقول:

- أنا باشتغل فى المحل الصبح وبالليل, علشان احنا فى الأجازة وباحاول أنى أجيب مصاريفى, الصبح النهاردة لقيت فاطمة داخلة السنترال بتقول لى عايزة اتصل بدكتور محمد ضرورى, أخدت منها الرقم واتصلت عليه رد علىَّ وبعديها قلت لفاطمة كابينة 4، فى الوقت ده كان المحل عندى زحمة, المحل عبارة عن اربع كباين:

الكابينة الأولى كان فيها واحدة زبونة بتتصل بأمها علشان تأكد عليها طلبات السوق, والكابينة التانية كان فيها الواد كيشا انت تعرفه, اللى طلب منك ترامادول فى الصيدلية وكان عايز يعمل مشاكل, الكابينة التالتة كان فيها كابتن عماد بتاع صالة الألعاب الرياضية، الكابينة الرابعة كان فيها فاطمة والكابينة الخامسة كان فيها عويس، صوت فاطمة كان عالي جدا لدرجة أننا كلنا سمعناها، تفتكر حد منهم هو اللى عمل الجريمة؟

سألته بعدما أنهى كلامه:

- هل كان فى حد منهم لابس بنطلون جينز أسود وقميص أزرق.

رأيته يحك رأسه بأنامله دلالة على التذكر ثم نظر إلى السقف محاولا الاسترجاع ثم قال:

- لا أقدر على التذكر، ذاكرتى ضعيفة فى الملابس ولكنى أتذكر الكلام بسهولة

سألت ممدوح:

- وايه اللى حصل بعد كده؟ أزاى عرفت بالجريمة؟

رد قائلا:

- بعد ما فاطمة مشيت بحوالى نصف ساعة, رحت الصيدلية علشان اجيب حبة صداع سريعة لقيتها واقعة على ضهرها ودم نازل منها مغرق الصيدلية، وكانت بتنتفس بصعوبة اتصلت بالإسعاف وجت عربية الإسعاف و شالتها للمستشفى

قلت له:

- طـب و د. محمـد ازاى عـرف بموضـوع الطعـن والسرقة؟!

رد علىَّ قائلا:

- قعـدت مـع فاطمـة أحـاول أسـاعدها أنهـا تقعـد علـى الكرسى وحطيت شاش على موضع الجرح, كانت لسه هى فى وعيها قالتلى على موضوع السرقة وان فى واحد طعنها وبعدها جت العربيـة بسـرعة مـع عربيـة شـرطة علشـان تعـاين المكـان ورحت معاهم وقعدوا يستجوبونى, وبعدها سابونى أمشى.

ففكرت فى الأمر فوجدت أن المشتبه لن يخرج من كونه أحد أربع رجال كانوا بالكابينة بينما فاطمة كانت تقوم بالاتصال قد يكون كيشا أو عويس أو كابتن عماد, ولكن مبلغ 5000 جنيه لا يستحق لكى يضع المجرم نفسه فى تلك الورطة, لابد من زيارة فاطمة غدا لابد من زيارتها والاطمئنان عليها ومعرفة ما تم معها.

نظر لى ممدوح ثم سألنى:

- بتفكر فى إيه؟

رددت عليه:

- لا أبدا بافكر بكرة أزور فاطمة هى فى أى مستشفي؟

قال على الفور:

- فى الجامعي، المستشفى الجامعى.

قام من مقعده وهم بالانصراف، سألته قبل أن يغادر:

- بتشك فى حد معين وراء الحادث؟

التفتت إلىَّ ببطء ورأيت فى عينيه نظرة أسى:

- كيشا هو الوحيد اللى ممكن يعملها.

قمت بدورى من المقعد وسألته:

- ليه اشمعنى كيشا؟ هو مجرم؟

رد علىَّ فى حزن شديد:

- لانه دايما معاه مطواة طوال 24 ساعة.

غادر بعد كلمته هذه, جلست أفكر جيدا فيما حدث, هل من الممكن أن يكون أحد الرجال الذين كانوا متواجدين بالكابينة؟ولماذا لجأ إلى الطعن، كان يمكنه أن يهددها فقط ثم يستولى على المال, أسئلة كثيرة تدور بعقلى ولا أجابة لها،انهمكت فى التفكير ولكن لمحت تحت مكانى قطرة دم على المقعد الذى أجلس فوقه, لابد أن المسكينة جلست هنا بعدما طعنها اللص, سيتم الإيقاع به وسوف ينال أقصى عقوبة له.

انفتح الباب ووجدت أمامى رجلا كبيرا كان يرتدى جلبابا أبيض،ألقى علىَّ السلام ثم قال:

- لو سمحت كنت عايز دوا الضغط اسمه كابوزايد.

أحضرت له الدواء ثم ناولته فى يده، نظر لى ثم قال:

- إيه اخبار فاطمة دى الوقت يا ابنى؟

ردت عليه:

- الحمد لله يا حاج, هى كويسة وان شاء الله ترجع تانى.

ابتسم لى قائلا:

- المشكلة يا بنى إن الناس كلهم استحلوا الدم.أنا سمعت النهاردة اللى حصل من ممدوح و زعلت عليها هى بت طيبة جدا وجدعة ومصيره يقع إن شاء الله.

قلت له فى شرود:

- ان شاء الله هيقع وهنسلمه للعدالة.

قال لى:

- انت عارف مين ممكن اللى يقدر يعملها؟

نظرت له فى تساؤل ثم هززت رأسى نفيا فأردف هو قائلا:

- أنا شاكك فى اللى اسمه عويس لانه فى زنقة كبيرة ومديون وحاول انه يطلب منى فلوس بس انا رفضت.

سألته فى هدوء:

- وليه عويس يطلب منك فلوس يا حاج؟!

سحب كرسيا ثم جلس عليه من تلقاء نفسه ثم قال:

- لأن أنا خاله، أنا صاحب الكابينة اللى بيشتغل فيها ممدوح ومأجرها من أبو عويس، هو اتصل بيَّ فى نفس توقيت

اللى اتصلت فيه فاطمة وطلب منى فلوس وقال لى انه مزنوق جدا ومحتاج تحديدا خمسة آلاف جنيه وهيرجعهم ليَّ بعد شهر.

سألته فى هدوء:

- ممكن انه يطلب الفلوس من أبوه, وهو مقتدر.

سعل فى عنف ثم سحب منديلا وقال:

- بينه وبين أبوه مشاكل ومش هيرضى يدى له لانه أخد من أبوه خمسين ألف جنيه.

نظرت له وقلت:

- طب كان ردك عليه إيه؟!

قال:

- طبعا رفضت لانى عارف انه مش هيرجعهم.

قلت له فى دهشة:

- طب ليه قلتلى كده أنت عارف أنى هابلغ البوليس بكلامك ده؟

مط شفتيه ثم خفض رأسه وقال:

- لانه مش بييجى من وراه إلا المشاكل، فلو كان هو المسئول عن اللى حصل لزميلتكم لازم يتحاسب.

ثم قام من مقعده وغادر الصيدلية.

أسندت ظهرى إلى المقعد و أخذت أفكر الآن لدينا اثنان تحومان حولهما شبهات قوية وهما على استعداد للخوض فى المشاكل للحصول على المال.

إذن واحد منهما قد يكون اللص, الأول عاطل ليس لديه عمل، ويحمل المدية طوال 24 ساعة وقد لا يتورع عن ارتكاب أى حماقة للحصول على ما يريد, والثانى يمر بضائقة مالية كبيرة ويحتاج إلى المال, وبالتالى سيقوم بأى عمل للحصول عليه, ولكن لابد أن أضع فى اعتبارى ايضا الكابتن عماد فهو قوى البنية وقد أخبرنى ممدوح من كلام فاطمة أن الذى هجم عليها كان قوى البنية.

من الذى ارتكبها؟

أكاد أجن من فرط التفكير، ولكن لن أنتهى إلا بعد أن أكتشف اللص وأسلمه للعدالة؟

لحظات مرت وانفتح الباب ودخلت فتاة بحثت عن الزيوت ثم أشارت لى على زيت جودمورننج البرتقالى, سالتنى:

- بكام زيت الشعرجود مورننج ؟

نظرت لها وقلت:

- 2.5 جنيه.

دفعت النقود ثم سألتنى:

- النهاردة كان فيه بوليس وعربية إسعاف فى حد حصله حاجة؟!

سأعانى أنا من استجوبات الناس, الكل سيقوم بدور المحقق كونان, بحثا عن الجانى, دائما فى الحوادث تجد الناس تجتمع ولكن ليس للمساعدة ولكن للرؤية, وقد يصبح الجميع خبراء فى حل الألغاز و المسائل الصعبة.

نظرت للفتاة قائلا لها:

- كانت زيارة سريعة وانتهت.

لوحت الفتاة بيديها دلالة على عدم الاقتناع ثم قالت:

- وبرضه عربية الاسعاف تيجى معاها الشرطة.

قلت لها فى ملل:

- روحى يا ماما للبيت علشان الوقت اتاخر وماتنزليش من البيت بالليل علشان بيخطفوا العيال الصغيرة.

نظرت لى فى غضب وقالت:

- أنا بنت بميت راجل.

تركتنى وانصرفت, الاطفال هنا غاية فى الوقاحة والتبلد وعدم الذوق لا احترام للكبير هنا, انتظرت إلى أن انتهى وقت العمل فأغلقت الصيدلية وانطلقت راجعا إلى البيت.

10- من الفاعل؟

فى الرابعة عصرا توجهت إلى المستشفى الجامعى وقبل الذهاب إلى المستشفى توقفت عند محل لبيع الشيكولاتة, اخترت علبة وطلبت من البائع أن يغلفها لى ثم نقدته السعر, وتوجهت إلى الاستقبال, وجدت الممرضة تدون بعض الملاحظات سعلت ثم قلت:

- آسف للمقاطعة بس فيه مريضة اسمها فاطمة اتطعنت امبارح فى صيدلية, وكنت عايز أزورها.

دون أن ترفع رأسها واصلت الكتابة ثم قالت:

- آه تقصد مدام فاطمة اللى جات امبارح الضهر طوارئ هى دى الوقتكويسة هتلاقيها فى أوضة 120 عنبر النساء الدور التالت قسم الجراحة.

غادرت الاستقبال وصعدت الدرج إلى الدور التالت ثم وجدت ممرضة فسألتها عن الغرفة 120 فأشارت إلى الغرفة, توجهت إلى الغرفة ثم توقفت أمام الباب وطرقت ثلاث طرقات، وجدت الباب ينفتح ورأيت شخصا أمامى ضخما طويلا له شارب غليظ, سألته فى فزع:

- فيه عيانة هنا اسمها مدام فاطمة، صح؟!

أومأ برأسه ثم أفسح لى الطريق وقال لى وهو يصافحنى:

- أيوة، أنا جوزها مصطفي انت أحمد، فاطمة كانت بتحكى لى عنك أنك لسه غشيم.

ثم هوى بكفه على كتفى, كانت الضربة مؤلمة للغاية، ثم أخذ يضحك فى استهزاء, كم هو لطيف زوجها!

بالفعل الطيور على أشكالها تقع، لم أرد أن أرد عليه فالظرف لا يحتمل...

تهللت أسارير فاطمة عندما رأتنى وقالت:

- د. أحمد والله فيك الخير، كل الناس جت تسأل علىَّ أنا متشكرة جدا ليكم يا جماعة أنت فعلا أكتر من اخواتى.

خطف زوجها علبة الشيكولاته من يدى ثم قال فى تصنع:

- ملهوش لزوم اللى عامله، هى العلبة جواها إيه؟

نظرت له غيظ ثم خطفت العلبة من يده وناولتها لفاطمة قائلا:

- شيكولاته وحلويات، بس هى للمريضة حضرتك صحتك بمب.

سحبت كرسيا ثم جلست أمام فاطمة وقلت لها:

- ممكن تحكى لى الواقعة حصلت ازاى؟!

أسندت رأسها للوراء على مقدمة السرير ثم قالت بصوت واهن:

- امبارح الضهر دخل علىَ راجل كان لابس بنطلون...

قاطعتها قبل أن تكمل كلامها قائلا:

- لا احكى لى من ساعة ما دخلتِ الصيدلية إيه اللى حصل بالظبط؟

نظرت لى ثم نظرت لزوجها الذى سحب مقعدا وجلس عليه وهو يعقد ذراعه أمام صدره قالت:

- كل يوم أنا متعودة أفتح الصيدلية على الساعة 9، فى اليوم ده اتاخرت للساعة 9:30 فتحت الباب زى كل مرة ولقيت قدامى ورقة بخط إيد د. محمد بيقول لى فيها اتصلى بىَّ ضرورى الساعة 10:00

ثم سعلت مرتين، أحضر لها زوجها كوبا من الباب لتروى ظمأها ثم أردفت:

- ولما جات الساعة 10:00 رحت للسنترال عند ممدوح وكلمت د. محمد وقال لى انه حاطط فى كرتونة البرنكوفين خمسة آلاف جنيه علشان يحاسب مندوب شركة الكونية الطبية بتاعة الدوا, وقال لى انه المندوب اسمه توفيق هيمر علىَّ على الساعة 1:00 الضهر ياخد الفلوس واسلمه الفواتير.

توقفت للحظات عن الكلام، وهى تعود بذاكرتها للوراء.. رأيت ملامح الحزن والأسى ترتسم على وجهها، ثم رأيت عينيها تسيل بالدموع قائلة فى خفوت:

- ولما رجعت من السنترال طلعت الفلوس من الكرتونة وحطيتهم قدامى فى درج الصيدلية علشان لو المندوب عدى أديهم له، وبعد كده دخل علىَّ راجل كان مغطى وشه برباط قال لى ان وشه محروق من الميه الساخنة وعايز كريم علشان يعالج الحرارة قمت أجيب المرهم لقيته قدامى وطعنى بالمطواة فى بطنى.

لم تقدر على مواصلة الكلام فانهمرت الدموع من عينيها وانخرطت فى موجة بكاء ونحيب شديد, وقف زوجها واقترب منها وهو يربت على كتفيها فى حنان قائلا لها:

- مش هيفلت بفعلته هيتجاب وهتاخدى حقك منه.

مرت عشرة دقائق من البكاء ثم هدأت وأكملت القصة قائلة:

- لقيته قدامى، وبعد كده حسيت بنغزة فى البطن وزقنى بعنف على الأرض وماعرفتش اقف لقيت دماغى بتلف، وشفت دم بينزل منى،ولقيته بيفتح الدرج وأخد الفلوس وحطها فى جيبه وطلع من الصيدلية، حاولت أصرخ ماعرفتش، حاولت أعمل أى حاجة ماقدرتش حاولت أزحف للكرسى ولكن لقيت ممدوح بيدخل علىَّ ساعدنى انى اقعد على الكرسى وطلب الإسعاف، وبعدين جابتنى الإسعاف للمستشفى عملت عملية بسيطة والدكتور طمننى أنها مش طعنة كبيرة.

كنت أرتب الاحداث داخل عقلى سألتها:

- سمعتى صوت الحرامى هل صوته قريب من أى حد تعرفيه؟

أومأت برأسها نفياثم قالت:

- صوته كان مكتوم, ماكنش الصوت الحقيقى كان مغطى بقه بالرباط تانى حاجة الصوت مكنش واضح.

سألتها مرة أخرى:

- طب هو كان لابس ايه؟ وحجمه مش بيفكرك بحد تعرفيه؟

ردت على:

- كان لابس بنطلون جينز أسود وقميص أزرق مقلم، اما حجمه فمش مركزة، بس حجمه وسط لا هو كبير ولا هو صغير.

استغرقت فى التفكير العميق ثم سألتها:

- ممدوح كان أول واحد يدخل الصيدلية بعد الحادث مش ممكن يكون هو الفاعل؟

هزت رأسها فى نفى ثم قالت فى استنكار:

- مستحيل ممدوح يعمل كده أنا واثقة فيه, تانى حاجة ممدوح كان لابس ترنج رياضى أزرق والمدة اللى عدت علىَّ ما تسمحش ليه أنه يغير الترنج ويشيل الرباط ويرجع لى تانى بسرعة، تالت حاجة ان الفاعل اللى عمل الجريمة عملها الساعة عشرة وربع, ساعتها ممدوح كان فى السنترال وده بشهادة الناس اللى كانوا موجودين ساعتها.

هممت بسؤالها ولكن سمعنا صوت طرقات على الباب, قام زوجها من المقعد وفتح الباب، كان د. محمد و لمياء وما أن رأت الأخيرة فاطمة راقدة على فراشها حتى انخرطت فى موجة بكاء ونحيب مرتفع، كمن يجامل أحد, انت تعرف النساء يجاملن بعضهن فى العزاء بالصريخ، وفى الفرح بالزغاريد.، وفى المناسبات الأليمة بالبكاء.، وفى حفلات الزفاف بالرقص وفى بعض الاحيان تكون المجاملات عن طريق الطعام....

اندفعت لمياء وهى تحتضن فاطمة فى مشهد درامى مؤثر،وزادت موجة البكاء لكليهما استغرقت قرابة نصف الساعة، لم أحتمل هذا المشهد الدرامى فخرجت من باب الغرفة, عجيب أمر النساء قد تدخل

إحداهن محلا لشراء شئ ما...ثم تعجب بشئ آخر ولكنها تشترى شيئا آخر ليس له علاقة بما تريده, النساء لا يفهمن أنفسهن ويطالبن الرجال أنفسهم بفهمهن.

لقد قال باحث اجتماعى فى مقولة شهيرة,:

لقد درست النساء لمده ثلاثين عاما كل شى يتعلق بهن, وفى نهاية الدراسة وجدت نفسى لم أفهم شيئا.

ما الذى يجعل امرأة تشترى دولابا خشبيا نيشا تضع فيه كل الأدوات الزجاجية التى لن تستعملها إلا فى المناسبات فقط؟

وتجد رجلا يقول أريد امرأة تفهمنى، إذا كانت المرأة لاتفهم نفسها فهل تفهمك؟!

وجدت د. محمد وؤائى، نظر لى ثم قال:

- انت هنا من مدة كبيرة؟

هززت رأسى نفيا ثم قلت:

- لا عشر دقايق بس مين فى الصيدلية إذا كان التيم كله موجود فى المستشفى

ابتسم ثم قال:

- الصيدلية مقفولة, الأولى زيارة المريض وخاصة إذا كان المريض موظف معانا فى الصيدلية.

احترمت رأيه وخاصة أنه قدم مصلحة الناس التى تعمل معه على مصلحته, بعدها بلحظات رأيت أمامى مصطفى زوج فاطمة

يستدعينى للحضور أنا و د. محمد فتوجهنا لغرفة فاطمة، أرحت نفسى على مقعد كانت لاتزال لمياء متأثرة بالوضع،سألت فاطمة فى هدوء:

- فاطمة بتشكى فى حد معين؟ بينك وبينه عدواة ممكن يعملها؟

خفضت رأسها لأسفل دلالة على التفكير ثم هزت رأسها نفيا وقالت:

- مافيش حد بينه وبينى عداوة, أنا متاكدة أنه شخص سمعنى و بعدها هجم علىَّ.

صاحت لمياء فى غضب:

- هو إنسان خسيس و هيتعرف وساعتها هتكون وقعته سودا وهياخد جزاءه.

نظرت إلى لمياء بعدما قالت تلك الجملة وتذكرت واقعة الفأر التى أصمت آذاننا بصرخها المقيت عند رؤيته.. لقد استمع الحى إلى صراخها وهى لم تر إلا فأرا.. فكيف إذا واجهت لصا بالتاكيد سيحدث لها شلل نصفى إذا لم تمت من الخوف...

نظر د. محمد إلى فاطمة ثم سأل:

- انتِ عارفة أن كان فى الكابينة تلات أشخاص كلهم مشتبه فيهم واحد اسمه كيشا وده بتاع مشاكل، وكنت دايما باشوفه بيشرب حشيش على طول..، و عويس ابن صاحب العمارة وده أنا مش بارتاح له، لسه كمان الكابتن عماد وده بنيته قوية وممكن يكون هو اللى اعتدى عليكِ، كمان سمعت انه سافر امبارح بعد المغرب، بعد الحادثة بحوالى خمس ساعات.

انهى د. محمد كلامه ثم استغرقنا فى التفكير، ارتفع عدد المشتبهين لدينا:

1- كيشا،وهو يعشق المشاكل والمصائب وتم الإمساك به فى أكثر من جريمة مخدرات أو سرقة أوابتزاز وآخرها اعتداء على رجل فى محل.

2- عويس، وقد استمعت من خاله حاجته الملحة للمال بدليل طلبه للاقتراض من خاله الذى رفض.

3- كابتن عماد،وكان فى الكابينة واستمع إلى فاطمة وهى تتحدث بصوت مرتفع.

4- ممدوح،لن يستثنى بالطبع لأنه استمع إلى فاطمة، كما أنه على معرفة بالصيدلية لأنه يزورها يوميا للثرثرة مع موظفيها.

واحد منهم قام بالسرقة وطعن فاطمة ويتظاهر بالبراءة.

قالت لمياء وهى تقدم كوبا من الماء إلى فاطمة:

- فى حاجة مش فاهماها, هو ليه طعن فاطمة بالسكين، كان ممكن ياخد الفلوس ويهرب، إيه لازمة انه يضربها بالسكين؟!

نظرت إلى لمياء وقلت:

- علشان يضمن انها مش هتمشى وراه وتفضحه قدام الناس, كانت من الممكن انها تطلع وراه وتصرخ وتقول حرامى علشان كده طعنها علشان يضمن انه يهرب.

خطر ببالى خاطر مهم إذا كان طعنها ليضمن الهروب فهل هذا دلالة على انه يسكن قريبا من المنطقة أم ماذا؟

ولكن هناك شيئا لم نلحظه كيف عرف أن فاطمة قد أخرجت المال ووضعته فى درج المكتب، هل كان يراقبها أم أنها مصادفة؟

لا أدرى.

وجدت د. محمد يقوم من مقعده وبالطبع قمنا جميعا, ثم ودعنا فاطمة وتمنينا لها الشفاء العاجل, ثم انصرفنا من الغرفة، عرض على د. محمد أن يوصلنى بسيارته ولكنى تعللت أنى سأذهب إلى مكان آخر، تركته يوصل لمياء إلى الصيدلية ثم نظرت إلى ساعتى فوجدت أنه لم يتبق على بدء دوامى إلا ثلاث ساعات، ولكنى كنت أخطط للذهاب إلى ممدوح،فقد خطر لى خاطر عجيب للغاية.

***

11-عند عم كشري

رأيت ممدوح جالسا على مقعده فى محل الاتصالات. طرقت الباب عليه فتهلل مبتسما, دعانى، ثم طلب لى كوبا من القهوة من الكافيه بجواره, كانت الكابينة فارغة لا يوجد بها أحد

سألت ممدوح وأنا أرتشف القهوة الساخنة:

- تفتكر لو كيشا هو الحرامى هيعمل إيه بالفلوس ده؟!

حك ذقنه دلالة على التفكير هو يتظاهرأنه يفكر متجاهلا كونى عالما بما سيفعله مسجل خطر مثل كيشا،بالطبع الخطوة الأولى هى أن يجلب المزيد من المخدرات، ولكن السؤال الذى يطرح نفسه على الساحة: من أين سيجلب المخدرات؟! جلس يفكر خمس دقائق ثم قال فى عبقرية:

- هيشترى بيها حشيش.

تظاهرت أنى قد تفاجأت, فوضعت رأسى على صدرى، ثم قلت له فى أسى مصطنع:

- من فين هيشترى الحشيش, هو ده السؤال؟

أشاح بوجهه وهو يعلم خطورة الموقف ثم ما لبث أن تراجع عن ما كان سيقوله، وصمت وملامح الخوف ترتسم على وجهه، أعدت سؤالى فى صرامة:

- من فين هيشترى الحشيش يا ممدوح؟!

تردد كثيرا فى الكلام.، ولكنه ظل صامتا وفى أعماقه يتفجر صراع داخلى, إذن لابد من الهجوم عليه لكى يفصح عما لديه، نظرت له نظرة تدل على اتهامى له ثم أشرت ببنانى إليه قائلا:

- يبقى انت متواطئ معاه يا ممدوح, اشتركت معاه فى الجريمة, وعلشان كده مش عارف تتكلم.

كان لكلامى أثر كالقنبلة, فانتفض من مقعده وهو يقول بصوت أقرب إلى البكاء:

- لا والله أنا ماعملتش حاجة, وبعيد عن الموضوع ده بس المشوار ده خطير جدا وعلشان كده مش عارف اتكلم.

قلت له فى غضب:

- انت بتخبى؟! فيه حاجة انت عارفها وبتداريها.

كاد أن يقتل هلعا وفزعا وهو يتمتم:

- لا أنا ماعملتش حاجة, بس اعرف المصدر اللى بيشترى منه كيشا المخدرات، ومش عايز أروح فى سين وجيم انا ملياش دخل.

قلت له:

- مين هو المصدر اللى بيشترى منه كيشا المخدرات؟!

تلفت يمينا ويسارا ثم قال فى خفوت:

- عم كشرى.

سألته مستفسرا:

- مين؟ اسمه إيه؟!

تلفت أيضا يمينا ويسارا للمرة الثانية...وقال فى صوت أقرب للهمس:

- اسمه عم كشرى.

لن نتنهى أبدا من تلك الأسماء الغريبة فلا يكفى أن لدينا كيشا و مكشة و حواوشي و رنة حتى يقابلنا اسم غاية فى الابتهاج والسرور اسمه عم كشرى، باقى لنا أن نبحث عن عم دقة وعم تبولة وعم فراخ مشوية وعم جرجير...

سألت ممدوح:

- فين عم كشرى؟

نظر لى نظرة مليئة بالغباء وهذه النظرة أعرفها جيدا ثم سألنى:

- ليه عايز تعرف مكانه؟!

أجبته فى هدوء:

- علشان نروحله ونسأله إذا كان كيشا اشترى منه مخدرات بكمية كبيرة ولا لا فهمت المقصد؟

رأيت ممدوح فى أسوأ صورة، كاد أن يغمى عليه، بعد ما أنهيت كلامى وأخذ يتلوى مثل مريض يعانى من قولون عصبى وقال:

- الراجل ده خطير جدا ومش هنعرف نقابله.

ربتت على كتفه قائلا له:

- ماتخافش هنروح مع بعض لعم كشرى كأننا عايزين نشترى منه، ونسأله إذا كان كيشا اشترى منه كمية كبيرة ولا لا.

نظر لى فى غيظ وحنق:

- وأنت فاكر إن الأمر ده بسيط وهنقدر نعالج الموضوع؟

قلت له:

- الموضوع هين جدا, هناخد عربية ونطلع بيها ونروح نسأله.

ضرب كفاً بكف ثم صاح:

- لا حول ولاقوة إلا بالله مش هتقتنع إلا لما تاخد جرح حلو فى وشك وبعدها تستريح، تانى شئ ده مش شغلنا ده شغل الحكومة، احنا مالنا بالموضوع؟!

أحسست برغبته فى التراجع, لذلك أردت أن أثير فيه الحمية والنخوة فقلت له:

- مش عيب أن واحدة تتعرض للطعن واحنا موجودين، لازم ناخد لها حقها ولو نعرف المعتدى ولااحنا مش رجالة ولاَ إيه؟

أثارت كلماتى الوتر الحساس فى مشاعر الرجولة لديه, فوجدت وجهه يمتلئ بالدماء وهو يفكر فى كلامى ثم قال:

- صح البت ده غلبانة، لازم ناخدلها حقها، هاروح أجيب العربية خليك هنا فى المحل.

سألته فى حماسة:

- عربية مين اللى هتجيبها؟!

نظر لى ثم قال:

- ده عربية واحد أعرفه شغال عليها تاكسي, هاستأذنه فيها نص ساعة.

وانصرف من المحل تاركا أياى, كنت أعلم ان تلك الخطوة التى نحن بصددها هى الحماقة بأم عينها, ولكن لابد أن نعرف من الذى فعلها، وخاصة أن أغلب الشكوك كلها تتجه نحو كيشا....

لحظات مرت ثم رأيت ممدوح داخل السيارة, أوقف السيارة أمام المحل ثم خرج من السيارة ليغلق المحل وهو يغمغم:

- نص ساعة مش هتضر بحاجة.

بعد عشر دقائق من السير اتجهنا إلى طريق ضعيف الإنارة بسبب تلف أعمدة الإنارة، سرنا بالسيارة ببطء شديد, ثم اتجهنا يمينا فى طريق أضيق، وسرنا حتى وصلنا إلى منطقة بها حقول زراعية واصلنا السير مدة عشر دقائق.

قلت له:

- ازاى عرفت الطريق, حاسس انى داخل متاهة؟!

لم يجب على سؤالى، ولكن رأيته ينظر ناحية النافذة إلى طريق وسط الحقل الزراعى, طريق ضيق مظلم وعر ولكنه اتجه ناحيته واخترق الطريق ثم وجدنا أمامنا شخصين, أوقفا السيارة ثم اقترب أحدهما من النافذة و سأل ممدوح فى غلظة:

- رايح فين؟!

أخرج ممدوح سيجارة من علبته ثم ناولها للشاب الذى كان يكلمه وقال له:

- أحلى مسا, رايح لعم كشرى أجيب حته نعنشة.

أخذ الشاب السيجارة ثم قال له فى صوت بارد:

-طب واللى قاعد جمبك ده بيعمل إيه؟!

رد ممدوح دون أن يلتفت إلى:

-الراجل ده تبعى، ووجه جديد فى الخلطة.

حك الشاب ذقنه ثم اعتدل واقفا وقال:

- خد أول يمين بعد كده خش شمال هتلاقى الخرابة قدامك.

تابعت الموقف مبهوتا بما حدث نظر لى ممدوح وقال لى:

- اعترفلك انى كنت فى وقت من الأوقات لما باتضايق آجى اشترى حتة من هنا.

قلت له فى تعجب:

-مين ده؟ !!وإيه الشفرة الغريبة اللى كنت بتتكلم بيها؟

أبطأ ممدوح من سرعة السيارة بعد انحرافه يسارا ثم قال:

-الشابين دول عبارة عن استخبارات علشان لو جت كبسة يهرب الجميع قبل ما يطب عليهم, تانى حاجة بيتعرفوا على الداخل رايح المنطقة وبيبعدوا الغرباء اللى زيك, الموضوع مش بالساهل زى ما انت فاكر.

أوقف ممدوح السيارة ثم هبطنا منها متجهين إلى منطقة خربة تحوى بيتا مكونا من طابقين, كان منظر البيت كئيبا للغاية, لاحظت أن البيت كان خربا, فالشرفات أغلبها محطم، سألته فى صوت عالٍ:

-فين عم كشرى المنطقة عبارة عن خرابة؟

وضع أنمله على فمه محذرا قائلا:

-بلاش سيرة كشرى علشان محدش يشك, ازاى وجه جديد زيك ويعرف عم كشرى؟! خليك هنا وانا هاروح أخبط على الباب ولما أشاورلك تعالى, خلى بالك محدش بيستريح للغرباء، افتكر ده كويس وما تتكلمش كتير.

أومأت برأسى متفهما الأمر, يا له من مكان, و يا لنا من أحمقين ذهبنا بأنفسنا إلى عرين الأسد, بالفعل كنا معتوهين ألقانا القدر لكى نواجه مصيرنا القاتم.

أتجه ممدوح إلى المنطقة الخربة ثم طرق الباب ثلاث طرقات، خرج لنا شاب آخر تبادل الحديث مع ممدوح ثم لوح بيده أن اقترب فاقتربت منه ودخلنا البيت الخرب، كانت رائحة البيت لاتطاق, كأننا وطئنا بالوعة عتيقة لم تفتح منذ عشرة أعوام, أكلمنا السير فى الممر الضيق حتى اقتربنا من غرفة بها أثاث عربى، ويوجد بها شخص يرتدى جلبابا بنياً وعمامة بيضاء، وكان يدخن النارجيلة فى تلذذ, نظرت له فى تقزز، كنت أود لو أهشم عنقه بيدي, ولكن لنأجلها للمرة القادمة،

مانريده منه بعض المعلومات فحسب ثم لنبلغ عنه الشرطة بعد انقضاء المهمة...

سعل الرجل فى عنف ثم نظر إلى ممدوح وقال له بلغة المعلمين:

-ازيك يا رنة مش كنت تقول لى انك معاك ضيوف علشان اعمل الواجب معاهم؟!

رد ممدوح فى توتر:

-معلش يا معلم المرة الجاية, كنت جاى استقصدك فى حتة بس مش معاى فلوس دلوقتى, انت عارف بس انى مزنوق فقلت استمسحك فى حتة وآخر الشهر اجى ادفعلك.

زمجر المعلم كشري فى غضب قائلا:

-ما انت عارف انى مش بدى شكك، مش تكية أمك تيجى تاخد منها وتدفع آخر الشهر.

تراجع ممدوح بعدما سمع زمجرة المعلم كشري وهو يتأسف عما بدر منه...

ولكن المعلم هب واقفا ثم صاح:

-بس علشان خاطر الضيف اللى معاك هادى لك حتة ليك وحتة لضيفك علشان يعرف بس أنى باحب أربى زبون وماحبش أقول لأ أى حد عايز كيف.

ثم نادى بصوت مسرسع أصابنا بالصمم:

واد يا بيسا هات حتتين حلوين للافندية بسرعة يا ابن...

سمعت سبابا مقذعة للغاية ولكنى تجاهلتها حتى الآن لم نحصل على ما جئنا من أجله....

رأيت بيسا شابا نحيلا له بشرة قمحية وشعر أسود, عظام وجنتيه بارز, يهرول مسرعا ثم ناول المعلم قطعتين من الشيكولاته السوداء هكذا رأيتها...

لابد أن نتصرف لا أريد أن أخرج قبل الحصول على أى معلومات.

فنظرت للمعلم وتغلبت على خوفى وقلت بصوت عالٍ:

-الحتتين دول مش أصلى يا معلم.

كأنى قد سببته شخصيا، فعندما تسب بضاعة الشخص فإنك توجه له إهانة كبيرة...

رأيته قد استشاط غضبا، واقترب منى حتى أدركت أنه سيصفعنى على وجهى، أمسك بياقة قميصى ثم جذبنى فى عنف، بالرغم أن هذه أول مرة أرى فيها منظره البغيض...

وقال فى غضب:

-مين قال لك انها مش أصلى، ولا بتشم على ضهر إيديك؟!

ثم دفعنى بقوة، وجدت نفسى أقع على ظهرى من عنف الضربة:

- لو لم تكن فى بيتك أيها الفأر لاوسعتك ضربا وتلكيما وصفعا

نهضت وأنا أزيل من ملابسى آثار الغبار الذى تعلق بى من أثر السقوط...

قلت له فى غيظ:

-امبارح اشتريت حتة من كيشا كان لونها أغمق من كده وكانت أصلية...

قاطع عبارتى فى غضب:

-أنا اللى بادى كيشا البضاعة، امبارح اشترى منى وده بضاعتى يا غبى.

حمدت الله انه اكتفى بلفظة غبى ولم يكمل، لقد نجحت فى إثارة غضبه ووصلت إلى حد ما إلى معلومات بسيطة ولكن أحتاج إلى دليل أكبر...

نظرت للمعلم وقلت له:

-الحتة عجبتنى لدرجة انى قلتله هاشترى كل اللى عندك بس عايز نفس الحتة ونفس الجودة، ولما كلمت ممدوح قال لى انه يعرف واحد أحسن من كيشا وهيدينا بسعر حلو.

صاح المعلم فى عصبية:

-انت عارف كيشا اشترى منى بكام؟!

كانت فرصة ذهبية، فنظرت له وقلت بصوت عالٍ:

-يعنى بكام اشترى منك؟ بألف جنيه مثلا عايز تقنعنى أنه اشترى منك بألف جنية حشيش علشان يبيعهم بسعر غالى طبعا مش هصدق.

رفع يديه وخبط بها على صدره كما تفعل الغوريلا:

-علىَّ الطلاق انه اشترى منى بخمس تلاف جنيه حشيش امبارح، ومن نفس الحته اللى طلعتها ليكم ولو مش مصدق, احرقها على صدرك دى الوقت.

كنت أنتظر تلك الجملة على أحر من الجمر, تألق بريق فى عينى لقد حصلنا على ما نريد، بقى أن ننسحب من ذلك الغوريلا التى أمامنا, رأيت وجه ممدوح وهو ممتقع، لقد سمع بأذنيه الدليل على جريمة كيشا...

لابد أن نخرج من تلك المنطقة البغيضة، قلت فى هدوء موجها كلامى للمعلم:

-احنا هنروح نجيب الحتة اللى بيبيعها كيشا ونقارنها مع حتة المعلم.

لم يمهلنى المعلم لإهاء كلامى، فقد انقلبت سحنته وأحسست بالدم ينفجر فى وجهه،وقال فى غضب:

- أنا لما أقول كلمة محدش يراجعنى فيها, شيل الحتتين من هنا, و خلى كيشا ينفعكم.

ثم أردف بعد ما أدار ظهره لنا:

- و يلا أمشى ياض انت وهو من هنا والا أخلى الكلاب تنهش فى لحمكم، انت وشكم نحس يا ولاد...

دون الاستفسار عن السبة، حصلنا على مانريد بقى لنا أن نواجه المجرم وجها لوجه, خرجنا من البيت الخرب ثم ألقينا أنفسنا فى السيارة وانطلقنا.

نظر لى ممدوح فى غضب قائلا:

- كنت هتودينا بغبائك فى ستين داهية.

قلت له فى عصبية:

- أولا أنا مش غبي، ثانيا عرفنا اللى كنا عايزين نعرفه وخرجنا من عنده.

قال ممدوح فى توتر بالغ:

- كان ممكن يفرغ فينا خزنة رصاص كاملة، دخلتك كانت غبية، حد يقول له برضه انها مش أصلية.

أجبته:

- ماكنش فيه حل غير كده لازم نستفزه علشان نقدر نخليه يفقد أعصابه ويقر بكل اللى عنده، وانت زعلان ليه؟ أنا اللى أخدت الإهانة كلها.

أبطأ فى القيادة ثم سار بمحازاة الحقل سالكا طريق الرجوع .

قال لى:

- هنعمل إيه دى الوقتبعد اللى سمعناه بودانا؟!

استغرقت فى تفكير عميق لابد من مواجهة المجرم ثم تسليمه للشرطة أم الأسلم لنا تبليغ الشرطة؟

نظرت إلى ممدوح ثم قلت:

- إذا كان كيشا اشترى مخدرات بخمستلاف، تفهم من كده إيه؟

حك ذقنه وهو يقول:

- كيشا هو اللى سرق الصيدلية علشان يجيب بيها مخدرات طب طعن فاطمة ليه؟

سألت ممدوح:

- صحيح هو ليه كشرى اسمه كشرى؟

رد علىَّ فى فخر كأنما يسرد تاريخ الدولة الخامسة الفرعونية:

- لأنه بدأ بمحل يبيع فيه كشرى ثم تطور ليبيع المخدرات.

هل التطور لديك هى تجارة المخدرات؟ على ما يبدو فهمك لمصطلح التطور غير صحيح.. التطور هو الارتقاء ليس الانحدار.

لم أهتم بإجابته ولكنى أخيرا وصلت إلى الفاعل وسوف أواجهه.

وصلنا للصيدلية أخيرا بعد تلك المغامرة الرهيبة وبقى أمام دوامى نصف ساعة.

***

13- مواجهة كيشا

لم يبق غير نصف ساعة على بداية دوامى فآثرت أن أبدأ الدوام مبكرا خير لى من الرجوع للبيت, فانطلقت إلى الصيدلية, لم تصدق لمياء عينيها عندما قدمت إليها مبكرا وجدتها تقول:

- خير مش عادتك تيجى بدرى؟!

لم أرد أن أخبرها بما حدث اليوم بعدما أنهيت زيارة فاطمة ولكنى ابتسمت لها ابتسامة خبيثة ذات مغزى تفهمه هى جيدا، وجدت ملامحها ترتسم بالحنق وهى تقول:

- عايز شاى، صح مادام ابتسمت الابتسامة ده.

أومأت برأسى ولاتزال الابتسامة الخبيثة تعلو ثغرى قائلا لها:

- بس يكون خالى من الصابون وعايز معلقتين سكر.

هذه الفتاة تمتلك عقلا موهوبا فى قراءة أفكارى وأن كان هذا أصبح روتينا يوميا لديها...

كان ذهنى منشغلا بما حدث بدأت فى ترتيب أفكارى, لابد أن أواجه ذلك المدعو كيشا، ولكن ما هو رد فعله عندما يعلم أننا اكتشفنا جريمته، سوف يقاوم، فهذه الجريمة كفيلة بالزج به فى السجن فترة لاتقل عن ستة أعوام وقد تزداد، سرقة مع إلحاق الضرر...هل قام فعلا بالجريمة أم أنه مجرد اشتباه، هل تجرأ على طعن سيدة لمجرد نزوة داخلية تجتاح عقله...تلك الرغبة الجامحة التى تشتعل ولا يشبعها إلا التروى من الكيف الموهوم.

ذلك الكيف الذى ابتدعه عقله، فصار عبدا له، كم هو أحمق يصنع له هوى ثم يصير طائعا فى إرضاء ذلك الهوى، وإن أجبره على ما لا يود أن يفعله ولكنه فى النهاية يشبع ذلك الوحش الذى صنعه بيده حتى لا يلتهمه.

الناس طبقا لمعيار التفكير تنقسم إلى أربعة أنواع:

1- نوعا يستخدم تفكيره، وإن كان أحمق، فى أشباع رغباته وشهواته دون التفكير فى نتيجة فعلته هذه... وهذا مسلك الخارجين من القانون.

2- نوع يستغل تفكيره أمثل الاستخدام لكى يزداد نجاحا و يشبع رغباته بطريقة سليمة وقانونية.

3- نوع ثالث كف عن التفكير وفضل أن يكون فى صف المتفرجين ويراقب بشغب الصراع الدائر بين الصنفين اللذين سبق ذكريهما.

4- ونوع رابع عطل عقله عن التفكير تماما فاستحق لقب غبى، وهو ليس له وظيفة فى الحياة إلا إضاعة الوقت فيما لايغنى.

إن عقلى يشرد بسرعة، فيما كنت أفكر، تذكرت...

هل أبلغ الشرطة بما يدور فى ذهنى عن ذلك المدعو كيشا أم أقوم بمواجهته وإجباره على الاعتراف؟

وضعت أمامى لمياء كوب الشاى، وأسرعت تلملم أغراضها للرحيل، لم أنتبه أنها ترتدى طاقما يمتزج فيه اللون البرتقالى مع

الأخضر، وهذا لا يتوافق إلا فى الزى الرسمى لفريق الكرة القدم لدولة بنجلاديش...

وددت أن أعلن عن انبهارى بتناسقها المميز فى الأزياء، ولكنى فضلت الصمت.

انصرفت لمياء عشرة دقائق مبكرا عن ميعادها، وقد أسعدها ذلك...

انفتح الباب معلنا عن حضور سيدة تحمل فى يدها طفلا صغيرا..

ينقبض قلبى حيثما يوجد طفلا صغيرا فلابد أن يجلب المصائب...

كان الطفل عمره يقارب أربعة أعوام، ترتسم على وجهه ملامح الأعياء الشديد، وكان وجه السيدة ممتقعا للغاية، بجانب علامات ذعر ترتسم على قسمات وجهها.

بصوت أقرب إلى البكاء صاحت:

- الولد شرب إزازة دوا، نصها، وخايفة يحصل له حاجة، ومش عارفه أروح المستشفى، عايزة أى حاجة علشان يرجع اللى فى بطنه.

كان كلامها أشبه بتهتهة، تكاد أن تنهمر من عينيها، ولكنها كانت تقاوم ذلك، كانت علامات الإعياء مسيطرة على ملامح الطفل، سألت السيدة فى هدوء محاولا أن أبث فى قلبها الطمأنينة:

- أولا حضرتك اتطمنى الأمر بسيط، ثانيا امتى حصل ده؟ وإيه اسم الإزازة اللى شربها؟

بدأ إحساس الذعر لديها يخف تدريجيا ثم قالت لى:

- هـــى اســـمها مـــاركوفين دواء ســـخونية، وحصـــل الموضوع ده لسه من شوية، ممكن تقول خمس دقايق.

دعنا نفكر فى تلك الحالة هذا الشاب الصغير شرب 60 مل من الماركوفين وهو ما يعادل 1200 ملليجم أى ما يعادل حبتان من البروفين تركيز 600 ملليجم، والجرعة للأطفال 10 ملليجم لكل كيلوجرام فى اليوم مقسمة على ثلاث جرعات، أما الجرعة القصوى فهى 40 ملليجم لكل كيلوجرام من وزن الطفل فى اليوم، مقسمة على ثلاث جرعات دعنا نحسب ما شربه الطفل:

5 مل من الشراب تحتوى على 100 ملليجم

60 مل من الشراب تحتوى على 1200 ملليجم

ما يحتمله جسد الطفل = 40 X 18=720 ملليجم فى اليوم

= 240 ملليجم فى الجرعة الواحدة

إذن بعيدا عن تلك المعادلات الرياضية التى لم أفهمها ولا أظنك قد فهمتها...

لابد للطفل أن يلفظ ما فى جوفه، وهذا شيء بديهي, وهذا لن يتأتى إلا باستخدام شراب مهيج للمعدة، فيقوم بالترجيع، وقع بصرى على أكياس الملح الإنجليزى فقمت بتحضير كيسين على نصف كوب ماء، وأعطيته للأم لكى تعطى طفلها، وقامت بجعل الطفل يشرب ذلك المشروب البغيض مذاقا، ولكن أعجبنى سياسة الأم فى إقناع الطفل بالشرب، كانت تحضنته وتقبل رأسه باستمرار مع الوعود بشراء الشيبسى والعصائر لو أكمل هو ذلك الشراب الذى هو أشد ملوحة من البحر الميت، ولم يكمل الرشفة الثالثة،إذ قام الطفل برجاع كل ما جوفه، وبالطبع لم يجد خيرا منى فى تلقى القئ الصادر من جوفه.

تهللت أسارير الأم ثم احتضنت صغيرها، بالطبع سأقوم بتنظيف الصيدلية...

للمرة الأولى رأيت فيها ندما على ما فعله طفلها ممتزجا بسعادة أنه قد أفرغ ما فى جوفه...

ولكنها أصرت على التنظيف طالبة منى ممسحة ودلوا به ماء لكى تصلح ما أفسده صغيرها...

أسلوبها الرائع والمنمق جعلنى أرفض أن أتركها تنظف أرضية المكان، سأقوم بهذا العمل، لقد صارت لدى خبرة فى ذلك المضمار، خبرة لا بأس بها.

ولم أكذب خبرا بل أحضرت دلوا من الماء وقمت بتنظيف الأرضية على أكمل وجه، لى مستقبل فى باهر فى التنظيف, فقد ازدادت الأرضية بشاعة فوق بشاعتها.

بعد إتمام المهمة جلست على مقعدى، وإذا بالباب ينفتح معلنا عن حضور ضيف آخر، كان رجلا مسنا، يتكئ على عصا معدنية....

نظر لى ثم قال لى فى هدوء:

- فاكرنى ولا شكلك نسيتنى؟!

بالطبع أنا أقابل فى اليوم ما يزيد عن 100 عميل أو أكثر، لذلك فإن ذاكرتى هى أشبه بذاكرة السمك التى لا تتجاوز خمس ثوانٍ فى تذكر الزبائن...

سحب كرسيا وجلس عليه، ثم عرفته أنه ذلك الرجل الذى يمتلك محل الاتصالات الذى يعمل به ممدوح، قلت له على الفور:

- حضرتك صاحب محل الاتصالات اللى شغال فيه ممدوح، المحل اللى جمب الصيدلية.

ابتسم لى ابتسامة ماكرة ثم قال:

- صحيح، شكلك ما عملتش حاجة فى موضوع عويس بس أنا جاى أقول لك على حاجة هتهمك جدا.

سألته فى شغف:

- إيه هى الحاجة المهمة؟!

أسند بظهره للوراء قليلا ثم عدل من وضع عكازه المعدنى على الأرضية ثم سعل كأنما يلقى خطبة قائلا:

- عرفت أن عويس اشترى موتوسيكل صينى ودفع مقدم خمسة تلاف جنيه، وهو ما حيلتوش اللضا، فجيت أقول لك بس

هذا الرجل أتى لكى يلقى قنبلة ثم يغادر كأنما شئ لم يحدث...

ولكن ما قاله على قدر عال من الأهمية، ويستوجب التفكير.

رأيت الرجل المسن يقوم منصرفا...حاولت أن أجعله يجلس معى لكى يفهمنى الموضوع ، ولكنه أبى، كان يود المغادرة سريعا، لقد أتى فقط لكى يلقى مفاجأته كمن يلقى قنبلة بكل بساطة ثم يغادر...

هذا الرجل لا يطيق ذلك المدعو عويس، ولو صادف يوما أن قابله لأفرغ فى صدره ذخيرة مدفع آلى كاملة، صدره يمتلئ كراهية ومقتا وبغضا له، ولكن هل من الممكن أن تكون مقولته هذه لكى يزج به فى السجن أم أنها حقيقة؟ لابد أن اسأل ممدوح فهو كفيل بمعرفة كل شئ.

غادرت الصيدلية وانطلقت قاصدا ممدوح كان وجهه متعبا فهو لم ينل قسطا من الراحة...

سألته على عجل:

- صحيح هو عويس أشترى موتوسيكل صينى؟!

أومأ برأسه بنعم ثم تثاءب قائلا:

- لسه هو مشتريه امبارح وسمعت انه دفع خمسة تلاف مقدم للموتوسيكل.

سألته على الفور:

- مين اللى قال لك كده؟

أجاب وهو نصف نائم:

- عويس شفته لسه دى الوقت معاه الموتوسيكل وسألته علشان أخوى كان ناوى يجيب واحد.

قلت له فى استنكار:

- طب مش كنت تقول لى؟!

أجاب:

- ما أخدتش بالى.. المرة الجاية هاخد بالى كويس.

تركته راجعا إلى الصيدلية، وأنا أضرب كفا بكف، أصبح لدينا مشتبهان، ولكن واحدا منهما هو الفاعل بالطبع والآخر برئ من تلك الفعلة، ولكن من منهما؟

نسيت الرجل الثالث بالطبع وهو كابتن عماد مالك الصالة الرياضية للتمارين اللياقة وبناء العضلات...

ألقيت نفسى على مقعد المكتب، وعقلى يعمل بأقصى ما لديه، أتذكر كل الأحداث و أسترجع الحوار والمناقشات، ولكن دون جدوى.

الباب ينفتح مرة أخرى معلنا عن ضيف آخر...

فتاة نحيفة تبرز عظام وجنتيها..كانت فى سن المراهقة.. ترتدى بنطالا جينز أزرق وترتدى قميصا أسود طويلا يصل إلى قدميها...

سألتنى عن دواء لعلاج الأنميا حيث أنها تعانى من انسداد الشهية.

سألتها:

- عملتِ تحاليل دم، صورة دم كاملة.

أومأت برأسها ثم أعطتنى ورقة بها نتائج تحليل الدم لديها.

كانت نسبة الهيموجلوبين منخفضة عن الطبيعى، وبالتالى نسبة كرات الدم الحمراء قليلة.

- أعطيتها دواء يدعى Haemo caps تركيبة من الحديد وبعض الفيتامينات للتقوية مع فاتح للشهية مثل mosegor، ثم رأيتها تود أن تسألنى سؤالا ولكن لاحظت عليها الخجل...

بادرت أنا بالسؤال قائلا لها:

- انتِ عايزة تسألى عن حاجة اتفضلى؟!

نظرت لى كانت مترددة ثم أخيرا قالت:

- انا عندى مشكلة من التفكير الزائد، وده سبب انغلاق الشهية عندى، أنا فى ورطة شديدة ومش عارفة حاسة انى مش هاقدر اطلع منها.

كان لى تجربة مماثلة من قبل مع فتاة أخرى تشكو عدم النوم لوفاة طائرها المحبب، فكان لابد أن أحتاط، فقد تكون هذه الفتاة تعانى من التفكير الزائد لأن الممثل المفضل تزوج امرأة أخرى دونها، أو أنها قد فقدت حذاءها فى البيت... لابد أن تحتاط.

لم أسألها عن الورطة ولكنها أكملت قائلة لى:

- أنا غلطت غلطة كبيرة جدا، والغلطة ده معقدانى جدا، بقت كابوس رهيب مش عارفه اتصرف، مش عارفة أعمل إيه، حاسة أنى مش هاقدر أواجه الدنيا بعد الغلطة الكبيرة.

هوى قلبى وسط قدمى بمنتهى العنف وأنا أقاوم تفكيرا سيئا أحاط بمخيلتى عن غلطة تلك الفتاة، ولكن الأخطاء كبيرة لدى الفتيات قد تكون نسيان الغسيل على الشرفة وقيام أحد بسرقته وهذا يعتبر خطأ لا يغتفر...

أكملت قائلة وهى تقول نفس الموضوع ولكن بصيغ مختلفة:

- انا ساعات بافكر فى الانتحار، صحيح عارفة انه كفر والعياذ بالله علشان كده بارجع على طول، أنا غلطت غلطة ومش عارفة أصلحها، غلطة ندمانة عليها أشد الندم.

كانت نبضات قلبى تنبض بعنف شديد جراء تلك المحادثة الكئيبة ولكنى أيقنت أن تلك الفتاة قد أخطأت الخطأ الذى ليس له علاج إلا بالزواج، كان كلامها يدل على ذلك، بجانب بكائها ونحيبها إضافة إلى تمخطها بصوت عالٍ مما استلزم أن أفرغ لها علبة مناديل كاملة...

لم أرد أن أسألها...

قلت لها فى أسى:

- اللى وقع يتصلح، وكل شئ له حل، استهدى بالله واتكلمى مع حد كبيرمن العيلة.

ماإن أنهيت عبارتى حتى ارتدت كالمصعوقة للخلف وكأن عقربا قد لدغها فى التو....

قالت وهو تتوسل لى فى صوت أقرب للبكاء:

- الله يخليك، استر علىَّ، الله يسترها عليك دنيا وآخرة محدش يعرف باللى انا قلته ليك ده؟ !!!

لقد فهمتنى خطأ كالمعتاد، لن أخبر أحدا عن خطئها ولكنه يجب أن تبادر بذلك تجنبا للمزيد من الكوارث...

شعرت بغصة فى حلقى ومرارة ليس لها حدود تجتاح داخلى...

لقد استغل أحدهم براءتها وخدعها باسم الحب الزائف، وتحت ستارالحب والعاطفة نال مبتغاه وتركها عظاما دون لحم...بل الأدهى انه قد فر بفعلته هذه وتركها تعانى شعور الألم والخطأ والأسى....

كان هذا ما يدور بذهنى ولكن شيئا واحدا قلب الموازين رأساعلى عقب، فقد نظرت لى نظرة عادية و ابتسمت ثم ضحكت ضحكة كبيرة مجلجلة...نظرت لها يالها من المسكينة أصيبت بحالة من فقدان للعقل جراء ما تعرضت له من أحداث أليمة كسرت عزتها وكبرياءها....

يبدو أنها تعانى من حالة انفصام حادة جعلها تقوم بتلك الحركات لا إراديا...

ولكن موجة الضحك استمرت ثم أمسكت ببطنها وهى تهوى على الأرض كأنها تشاهد عرضا كوميديا أمامها....

ثم قالت والضحك يملأ فمها:

- أنا آسفة انى عملت كده معاك، بس كان عندى بروفة لانى بامثل فى مسرح الجامعة، وده كان الدور اللى هاعمله، فحبيت أجرب عليك... معلش الموضوع كان اشتغالة ما تزعلش منى، بس الفكرة إنى مقدرتش أكمل لانك كنت مصدق على الآخر.

لقد جعلتنى هذه الفتاة أضحوكة، كان مشهدى مضحكا، أحسست بالغضب من تلك التى سخرت منى وجعلتنى مهرجا كبيرا، بل بهلوانا فى صالة السيرك الروسى.

اعتذرت لى ثم غادرت وهى لاتزال تضحك، بالتاكيد لست فى حالة تسمح لى بهذه اللعبة، ولكن الحق يقال سخرت منى باحتراف، بارعة جدا فى تمثيلها ولكنها ليست بارعة فى اختيار ملابسها غير المتناسقة.

ولكن بالرغم من ذلك، أعترف أنى قد استفدت من ذلك الموقف...بالرغم أن الفتاة كانت تلهو بما فعلته ولكن انتبهت إلى شيء هام، خيال الإنسان دائما يضخم من حجم المشكلة حتى تصل إلى أبعاد ليس لها علاقة بالموضوع من أساسه...

عندما تحدثت الفتاة أيقنت انها قد أخطأت خطأ كبيرا ثم جاء على خاطرى شيئا ليس له علاقة بما تتحدث...

وهذا دائما ما نقع فيه، هى أننا نستنتج ونستنبط أشياء ليس له علاقة بما حدث بالفعل، ولكن التفكير هو الذى هدانا لها...

إننا فى بعض الأحيان نصنع تمثالا من الأوهام ثم نجعل له قدر من الأهمية بالرغم من أنه لا يوجد إلا داخل عقولنا، وهو من نتاج تفكيرنا المستمد من الظروف المحيطة....

لقد أغفلت من عقلى التفكير بمنطقية... هناك ثلاثة مشتبهين فى تلك الجريمة ولكن أغفلنا واحدا، بالرغم من سفره المفاجئ...

لن نستطيع أن نكمل الصورة الكاملة إلا إذا اكتملت عناصرها...

لابد أن تكون هناك جولة مع الثلاثة أشخص وجها لوجه...

لن أسمح لعقلى بأن يخدعنى أو يجعلنى أشيد صورة خاطئة الملامح فى اتجاه بعيد وضال عن الحقيقة....

لابد أولا من جمع العناصر ثم وضعها فى تناسق تام لكى تتضح المعالم...

وبالرغم من كل هذا، أنا لست شرلوك هولمز فلماذا لا أترك الأمر للشرطة؟!

وهم سيقومون بواجبهم على أفضل نحو....

صوت الباب ينفتح معلنا عن قدوم ضيفجديد...

ولكنه ليس أى ضيف....

إنه الضيف الذى انتظرته منذ زمن بعيدا....

انه الشخص الذى سأصارعه بفكرى....

وأقاتله قتالا عنيفا بوجدانى...

إنها المعركة التى طال انتظارها...

إنها المواجهة التى أنشدها...

لن أطيل عليك بالطبع، ولكن يكفيك أنك قد عرفت الشخص الذى أمامى...

هل خمنت من القابع أمامى؟

إنه المدعو كيشا يقف أمامى يتحدانى فى منازلة ذهنية، سوف تعصف بأحد منا...

لمن سيكون النصر؟!

***

كان يقف أمامى فى حلبة المصارعة ثم أطلق رصاصاته قائلا:

- ازيك يا دكتور كنت عايز حبتين صداع؟!

لم أتوقع أن تكون البداية بتلك السخف، وقفت ساكنا أتأمل عينيه وصوت داخلى يصرخ فى أعماقى: ها هو الفاعل يقف أمامك...

وبالرغم من أننى لم استفد من ذلك الدرس التى لقنتنى إياه الفتاة الحمقاء التى كانت تؤدى دورا سخيفا للخطيئة إلا أننى لا أتعلم،لقد حان وقت النزال ولابد أن أنازله...

هل أذهب وألكمه فى وجهه وأقول له اعترف بأنك الفاعل؟

أم أمسك بحزام بنطاله ثم بووم سلام على أرضية الحلبة

أم....

قطع أفكارى بصوته الذى أشبه بصوت بسدادة تنفتح فجأة:

- فى إيه يا دكتور أنت سرحت ولا إيه؟

نظرت له فى تحد وقلت له:

- كيشا عندك حشيش؟

نظر لى فى دهشة وقال:

- انت عايز حشيش يا دكتور؟!

أجبته على الفور:

- لا مش أنا اللى عايز فيه واحد عايز وطلب كمية كبيرة.

قال لى فى تصنع:

- لا يا دكتور ماعنديش حشيش بس ادينى حبة صداع علشان دماغى عايز أمشى.

أفلت هو من الفخ الأول، إذن لابد من كشف الأوراق.

قلت له:

- بص يا كيشا انا عارف انك عندك مخدرات وانك اشتريت بخمسة تلاف جنبه مخدرات، عارف ده معناه إيه؟

اقترب منى ناظرا لى فى عداونية وقال:

- لا مش عارف إيه معناه يا برنس.

لم ترحنى لفظة برنس ولكنى استكملت:

- معناه ان سيادتك اللى سرقت الخمسة تلاف حنيه، وانك طعنت فاطمة وده فيها ما يقلش عن ست سنين وممكن اكتر.

كنت أتخيل انه سيزمجر ويمسك فى تلابيبى محدثا شجارا أو قتالا.

ولكنى وجدته يتوسل لى قائلا:

- والله ماعملتش حاجة، انا عمرى ما اطلع مطواة على بنت وكمان بنت حتتى، ماعملتش حاجة وحياة المصحف الشريف .

لقد اكتسبت خطوة فى المنازلة فضعف موقفه قد اتضح...

ولذلك فإن الخطوة الثانية هى الهجوم بلا رحمة...خير وسيلة للدفاع هى الهجوم...

قلت له فى صوت عال ذات نبرة تهديدية:

- أمال فلوس الحشيش جبتها من فين؟!

نظر لى فى أسى قائلا:

- أخدتها من واحد صاحبى، بس انا ماسرقتش الصيدلية ويمين أحاسب عليه ماهوبتش ناحية الصيدلية فى اليوم ده.

أمتلأ عقلى حيرة وأحسست أنه ليس الفاعل...

الأمر يكمن فى نبرة صوته الصادقة...

قد يكون مدمنا للعقاقير المخدرة...

قد يكون من رواد السجن...

قد يكون يجيد التمثيل ولكن شيئا ما يؤكد لى أنه ليس الفاعل...

وجدته يحدق فى ثم قال:

- أبوس إيدك مش عايز شوشرة، أنا راجل فى حالى بالقط رزقى، أشوفك على خير يا دكترة سلاموعليكم.

تركنى وانصرف من المكان وعقلى مشوش، ولكن لابد أن أجمع عناصر الصورة كلها لتتضح أمامى الرؤية...

لن أقدر أن أتهم أيا منهم قبل الحصول على دليل إدانته...

لابد أن من مواجهة لى مع عويس حتى أستطيع الحكم من الفاعل؟

***

مر يومان كاملان ولم أر فيهما المدعو عويس، ولاتزال تحريات الشرطة قائمة ولم يستدلوا على شئ....

سأتخذ خطوة، سأذهب إلى صالة التمارين الرياضية التى يعمل بها الكابتن عماد،واحاول استكشاف أى شئ يمكنه أن يدلنى على طرف خيط...

كانت الصالة خلف الصيدلية, صالة كبيرة تنقسم إلى ثلاث غرف: غرفة خاصة لحمل الاثقال وأخرى للسير الالكترونى والثالثة للياقة.

ستجد استعراضا للعضلات المفتولة, لم أر عضلات بهذا الحجم غير الطبيعى، لابد أن أغلبهم يتعاطون الهرمونات لتضخيمها....

ستجد الصراخ يتعالى ممتزجا بصوت المعادن وهى تصطدم ببعضها، صوت الأثقال وهى تهبط على الأرض....

ستشم رائحة غير محببة لا داعى لذكر مصدرها هنا...

الكل هنا مثل الديوك الرومانية التى تتصارع من أجل البقاء...

الكل يسعى لتحسين شكله الخارجى متجسدا فى العضلات المفتولة واللياقة العالية....

قابلت شابا هو المسئول عن الصالة، كان قصيرا يحمل عضلات ضعفى حجمه....

نظرت له وصافحته ولكن أحسست أن يدى تنسحق إثر هذه المصافحة....

ابتسم الشاب وقال لى:

- تأمر يا كابتن، عايز عضلات ولا لياقة؟

قلت:

- لا كنت عايز أسأل عن كابتن عماد، هو موجود دى الوقت؟

نظر لى وهو يحمل ثقلا ثم يقوم برفعه عاليا قائلا:

- هو سافر فى مأمورية وهيرجع كمان اسبوع.

قلت:

- هو سافر أمتى بالظبط؟

توقف هو عن رفع الثقل الذى يحمله ثم نظر لى نظرة فيها استنكار قائلا:

- انت بتسأل ليه يا كينج؟ انت شغال مرشد؟

هززت رأسى نفيا وقلت له:

- لا أبدا أصل كان عندى أمانة وحبيت أنى أوصلها له، وكنت المفروض اسلمهاله من تلات أيام بس تأخرت.

حك ذقنه ثم قال:

- هو سافر من هنا من تلات ايام على وقت المغرب.

لحظه واحدة إذا كان هو الفاعل وقام بسرقة المال، فإن سفره سوف يكون دلالة عليه، كما أن ميعاد مغادرته ليس كافيا لارتكاب الجريمة ثم الفرار، إذن هذا الشخص برئ من تلك التهمة...

بقى عندى أن أقابل عويسا وجها لوجه، وإن كان الأمر لا يستلزم الكثير من الذكاء لكى أخمن أنه الفاعل.

لن أنتظر عويس حتى يأتينى سأذهب إليه بنفسى...

المبادرة الأولى تفقد العدو اتزانه....

لذا توجهت إلى بيت والد عويس، كنت أعلم أنه يسكن فى الطابق الأول....

وقابلت الوالد على الدرج وسألته عن عويس فأخبرنى أنه متواجد عنده

فطلبت منه مقابلته لأمر هام...

قلت له:

- ماعلش يا حاج كنت محتاج أكلم عويس فى موضوع ضرورى، صحيح مبروك على الموتوسيكل.

نظر لى فى تعجب وقال:

- الله يبارك فيك، بس ازاى عرفت؟

لم أطل الكلام معه ولكنى تركته قائلا:

- هاستنى عويس انا فى الصيدلية.

توجهت للصيدلية لأبدأ دوامى اليومى قابلتنى لمياء بابتسامة باهتة, ثم أسرعت تلملم أغراضها....

ثم غادرت الصيدلية على عجلة من أمرها...

جلست أنتظر عويس، قلبى يحدثنى انه هو...

انتظرته جالسا على مكتبى الخشبي، كانت الدقائق تتباطأ فى السير متعمدة كأنما تريد أغاظتى فقط....

دقائق تفصلنا عن حسم الأمر كله....

سأواجهه بما توصلت اليه وأضعه تحت ضغط شديد لكى ينطق ويعترف بما اقترفت يداه من جرم.

صوت الباب يعلن قدوم أحدهم, ينفتح الباب مصدرا صريره المزعج كالمعتاد....

ها هو الفاعل يقف أمامى فى برود غير عالم بما أعد له من محاكمة فى الأرض التى ارتكب بها جريمته....

لاتزال آثار الدم تصرخ فى وجهه.إن اللعنة على كل من حمل سلاحا وآذى به بريئا لا ذنب له...

هذا ملعبى وقد أعددت له العدة....

دقائق وسأحصل على اعتراف منك بجريمتك هنا....

***

وقف أمامى عويس ثم قال فى برود:

- خير، ابوى قال لى انك عايزنى فى خبر، أفندم.

نظرت له فى تحدٍ ثم قلت:

- أنت عارف يا عويس إيه اللى حصل لفاطمة، وعارف ان ده مايرضيناش، ان واحدة من الحتة تتعرض لطعن وسرقة....

قاطع كلامى فى نفاد صبر وقال فى عصبية:

- وأنا إيه دخلى بالموضوع، جايبنى عندك علشان تقول لى كده؟!

تجاهلت تماما عبارته وأكملت كلامى:

- انت عارف ان فاطمة اتكلمت فى الكابينة, وكان موجود معاها تلاتة، كيشا وكابتن عماد وأنت، انا واجهت كيشا وانكر انه ارتكب الجريمة و الكابتن عماد سافر فى نفس وقت الجريمة، مابقاش غيرك أنت عايز اسمع رأيك.

زمجر غاضبا وقال فى ثورة شديدة:

- يعنى منزلنى من البيت علشان تقول لى الكلام الهايف ده طب علىَّ...، لفظة بذيئة لو ماكنتش أعرفك لكنت دبحتك زى الفرخة هنا.

استشاط الغضب لدى وقلت له غير عابئ بتهديده:

- انت فاكر البلد مافيهاش حكومة ولا قانون، إيه سايبة؟! اللى انت قلته ده إدانة ليك انك اللى طعنت فاطمة.

بعدما أنهيت عبارتى... وجدته انتزع الدباسة من سطح المكتب وألقاها بعنف تجاهى حاولت أن أتفادها ولكنها أصابت كتفى...

كانت العبارة هذه ليست إلا الفتيل الذى أشعل المفجر...

هل جربت أن تصارع ثورا أسبانيا فى حلبة صرع الثيران حيث تقوم بإثارة غضبه... ثم تلوح له بقطعة من القماش حمراء اللون... كم هم أغبياء لا يفهمون أن الثور لا يميز بين الألوان... ولكن حركة المصارع الاستفزازية هى التى تجعله يثور...

كانت عبارتى هى قطعة القماش الحمراء التى لوحت بها للثور...

هل جربت أن تقود بغلا فى عربة كارو ثم تقوم بجلده بالسياط فيقوم هو برفصك... هل جربت أن تزيد الجلد فيزيد هو من رفصه....

كانت عبارتى هى السوط الذى جلدت به البغل...

هل جربت أن تدخل فى عراك خناق بين خصم ليس بينك وبينه تكافؤ فى الجسد ولا فى الثقافة ولا فى الفكر...

لقد خضت التجربة ويا ليتنى لم أفعل...

خرجت من المكتب متوجها له لكى أقاتله، ولكنه أمسك ياقة قميصى بعنف، ثم هوى بركبته فى معدتى أحسست بانطباقها على بعضها، ثم دفعنى كأنما يبصق...

ارتطمت بالمكتب وأحسست بآلام تجتاح ظهرى، تطاير المنظار الطبى وتهشم...

ثم ركلنى فى معدتى وتركنى وأنا طريح على الأرض كالدجاجة التى تلفظ أنفاسها الأخيرة مقاومة لحظات ذبحها بالسكين...

غادر هو وانصرف بعد سيل من الألفاظ النابية وتركنى مكوما على الأرض ككومة من البيض المهشم....

قمت بصعوبة وارتميت على الكرسى بصعوبة....

التقطت منظارى الطبى أفحصه بعدما تهشم إلى العديد من القطع...

ثم أطرقت برأسى على المكتب....

سيدفع هذا الوغد الثمن، لقد أيقنت أنه هو، سأقوم بزيارة قسم الشرطة وأبلغ عنه...

قمت أنفض عن ملابسى الغبار الذى التصق بها...

ثم تناولت حبتين من المسكن وجرعتهما بكوب من الماء البارد...

تناسيت ما حدث لى، انفتح الباب معلنا عن قدوم ضيف جديد... كان شابا فى أواخر العشرينات من عمره...

ثم سألنى:

- عايز كريم كويس للحساسية، عندى هرش فظيع فى دراعى ورجلى وضهرى وكل جسمى... بس عايز حاجة فعالة.

قمت من المقعد وكل عظمة داخل جسدى تئن من الألم، ثم انحنيت لكى التقط الكريم ولكن ضهرى أبى أن ينحنى إثر العلقة الساخنة التى تناولتها...

فقمت واقفا ثم انحنيت ببطء شديد متحاملا على نفسى حتى التقطته بأناملى, ناولته كريم باندرمال pandermal، أخذ يعبث بالكريم غير مبالٍ بي، ثم فتح العلبة و أخرج أنبوب الكريم ثم نظر له قائلا:

- هذا الكريم مغلق من الداخل.

لم أبين له انه عبقرى فى فهم الأمور البديهية والتى سينال بصددها جائزة الدولة التشجيعية فى رقص الباليه...

قلت له فى ضجر:

- طبعا أمال فاكر اننا بنبيع أدوية مستعملة؟!

قال فى لامبالاة:

- لا، ما اقصدش ده.. ولكن عايز أعرف لون الكريم من جوه إيه؟!

كاد سؤاله يصيبنى بالجنون ماذا سيفيد معه لون الكريم؟!

هل لديه عقدة تشائمية من بعض الألوان، أم يحسب أن اللون هو دليل على الفاعلية؟!

قلت له فى نفاد صبر:

- هيفيدك اللون بايه؟؟ انت جاى تعالج الحساسية ولا تلون جلدك بالكريمات؟!

اغتاظ من عبارتى قال لى فى ضيق:

- لا طبعا، عايز اعرف لونه، لان لو كان لونه ابيض فهو مش هيجيب معاى نتيجة علشان جربت واحد ابيض.

فقدان الثقافة والعلم يسببان مرض اضمحلال العقل وقد يزداد الأمر سوءا فَيَصِلُ إلى التهابات داخل القشرة الدماغية...

لقد ربط المريض الذى أمامى لون الكريم بالفعالية.. بالنسبة له اللون الأبيض فى الكريم غير مستحب...لأنه نتج عن تجربته لكريم ذى لون أبيض... ولكن قد يكون استخدم كريما خاطئا، كريما لعلاج التهابات البواسير ومضاعفاتها... وهو يظن انه يعالج الحساسية باعتبار كل ما يدهن فانه يصلح لعلاج الجلد، كل ما هو أبيض ليس فعالا لعلاج الحساسية.. على غرار ليس كل ما يلمع ذهبا... قد يكون صفار بيض...

قلت له فى هدوء:

- الكريم ده فعال.. فعلا ماعرفش لونه، بس أأكد لك انه هيجيب معاك نتيجة حلوة.

قال لى:

- انت عايز تبيع ضميرك علشان الكريم؟!

لقد فاض بى حقا، لاأقدر على الاحتمال مع المناقشة مع تلك العقلية التى ضاقت أفقها حتى انها لن تستطيع منافسة نملة فى التفكير...

قلت له فى عصبية:

- انا هابيع ضميرى علشان 6 جنيه، بس لو مش عايز الكريم جيبه من حتة تانية بس بلاش فذلكة.

قال لى:

- لا انا ماقصدش بس انا كنت باستفهم هو الكريم ممتاز؟

أجبته:

- بس فيه صيدلية جمبينا ممكن تروحلها وتشرح حالتك هناك الدكتور اللى هناك احسن منى.

تجاهل عبارتى وقال:

- طب هو ليه اثار جانبية؟

قلت له وانا اقاوم رغبة ملحة فى البكاء:

- لا ملهوش أى آثار، أى خدمات تانى؟

سألنى للمرة السابعة:

- يعنى الحساسية هتروح؟

قاومت لكمة كادت أن تصدر من يدى ناحية فكه السفلى قائلا له:

- تحب أجيبلك المصحف أحلفلك عليه علشان تتأكد؟!

قال لى:

- لا شكرا، آسف انى رزلت عليك.

انصرف تاركا أعصابى تحترق، هذه الشاكلة من المرضى قد تصيبك بتوتر عصبي, وهو من النوعية التى تستهلك جهدك وأعصابك بتكرار نفس سؤاله عدة مرات، وقد يستغرق هذا المريض منك نصف ساعة لكى تطمئنه فقط ان الكريم لن يؤثر على صحتك الإنجابية مستقبلا....

انفتح الباب من جديد يصدر صوته المزعج، ولكن كان أمامى هذه المرة ممدوح الذى نظر لى فى استنكار وقال:

- انت هببت إيه مع عويس ده حلف انه مش هيسيبك؟!

حكيت له ما حدث بالطبع لن أكرر الأحداث مرة أخرى.

كان رد فعل ممدوح غير متوقع، كانت نظراته زائغة.. كان يهم بقول شئ ولكنه صمت...

قلت له محاولا إخراج ما فى داخله:

- انت عايز تقول حاجة وخايف؟!

نظر لى ثم قال:

- سيب الموضوع ده للحكومة بلاش دور المحقق جيمس بوند اللى هيوديك فى داهية، انا لغاية دى الوقت باحمد ربنا اننا طلعنا بالسلامة من عند المعلم كشري....

رددت عليه:

- اولا جيمس بوند ماكانش محقق كان عميل تابع للاستخبارات البريطانية... ثانيا ما ينفعش نشوف اللى حصل ونسكت.

قال لى:

- انت اتهمتنى واتهمت كيشا و عماد و عويس من غير دليل، عندك دليل طلعه معندكش يبقى تسكت.

قلت له:

- طب انت عايز إيه دلوقتى؟!

قال لى فى نبرة تهديد:

- جاى اقول لك ان عويس حلف انه يشرحك لو بلغت البوليس.

قمت بالتصفيق فى حركة مسرحية ثم قلت له فى عناد:

- هذا دليل الإدانة، وغدا سأبلغ البوليس واحب اشوف أساور الحديد فى ايديه.

انصرف وهو يرمقنى بنظرة نارية قائلا:

- فعلا دبور وزن على خراب عشه.

وتركنى وحدى تكاد أعصابى تنفجر من الغضب, لن أستسلم ولن أرضخ لمطالبهم الدنيئة، لقد قررت ولن أتراجع....

غدا سأكون هناك وأدلى بشهادتى....

وليحدث ما يحدث...

انفتح الباب من جديد مصدرا صوته المميز معلنا عن قدوم ضيف آخر،كانت فتاة شابة لا ترتدى حجابا، تضع كميات هائلة من مساحيق التجميل على وجهها، لديها شعر أسود فاحم كقطع الليل المظلم...أخذت تبحث ببصرها عن كريمات الشعر ثم استقرت على كريم بريلكريم، أشارت إلىَّ أن أخرجه من الفاترينة الزجاجية...

قالت لى فى مرح:

- الكريم ده حلو للشعر...هيخلى شعرى حلو.

أومأت برأسى موافقا، فأكملت هى قائلة:

- إيه أخبار فاطمة، مسكينة اتطعنت بمطواة.

سمعت هذه الجملة مرارا وتكرارا... الجميع يتميز بفضول رهيب.

يحبون أن يستمعوا للرواية التعيسة ثم يمصمصوا شفاهم ويتمتم أحدهم فى أسى:يا للمسكينة لقد اتطعنت.

كمية الناس التى تساءلت عن تفاصيل السرقة يفوق ما فقدته ألمانيا فى حربها العالمية الثانية من أرواح، مجرد فضول يقتلك لكى تعرف ما حدث وهل أمسكوا بذلك اللص أم لا؟

قلت لها فى اقتضاب:

- بخير.

سألتنى:

- هى هتخرج أمتى من الممستشفى؟!

إذن ما كان كريم الشعر إلا مفتاحا لفتح تحقيق مفتوح معى للإدلاء بمزيد من الأقوال عن حادثة السرقة التى تمت, والاطمئنان على حالة المجنى عليها, وماذا كان شعورها لحظة الجريمة؟ وماذا كانت ترتدى؟ وهل هى استعدت لهذه الواقعة أم لا، وهل تتوقع أنها سوف تقابل المزيد من العنف فى السنوات المقبلة؟ كم من الأسئلة التى لاتعنى شيئا غير إصابتك بالعتة أو البله، وفى نهاية الأمر أحب أن أسمع أغنية سواح وماشى فى البلاد للعندليب الأسمر...

قلت لها فى ضيق:

- لا أعرف، فيه أسئلة أخرى؟!

انتبهت هى لضيقى متاخرا ثم قالت:

- آسفة، بس مجرد حابة اتطمن على فاطمة... انا جارتكم نهلة وساكنة فى العمارة اللى قصادكم، هو اللى طعنها كان شكله ازاى؟

هذه الفتاة تمتلك فضولا كافيا لقتل كل القطط, ولكن ليست هى الوحيدة فى ذلك المجال لطالما ارتبطت النساء بالفضول الذى لا يرتوى أبدا، ولذلك تربح مجلات التلفاز والإعلام مكاسب رائعة من الحمقاوات التى يشرينها فقط لمعرفة لون بنطال تلك الفنانة، ولماذا طلق نجم السينما زوجته بالرغم من نجاح فيلمها الأخير... وكيف استطاعت الممثلة سوسو خفض وزنها عدة كيلوجرامات.. بالرغم من تجاوز وزنها رقما يعجز مؤشر الميزان أن يقرأه... وهل لون أحمر الشفاه الفسفورى مناسب لطلاء الأظافر البلورى... ولولا الفضول لما اجتاحت مواقع التواصل الاجتماعية العالم كله، فالكل يستغل مواقع التواصل فى التجسس والتطفل على الآخرين و....

أجبت فى ملل:

- كان رابط على وشه رباط أبيض ولابس بنطلون جينز أسود.

صمتت لحظات ثم قالت:

- كان ذلك فى 12 الضهر، أنا شفت المجرم.

قاطعتها على الفورفى غضب قائلا لها:

- انتى شفتِ المجرم طب ما اتكلمتيش ليه من بدرى؟!

أحست بالذعر وقالت:

- أنا مش عايزة شوشرة وسين وجيم، انا ماشفتش وشه لانه كان مغطى وشه برباط أبيض، أنا استغربت من كده بس قلت انه وشه اتحرق.

سألتها:

- هل كان فيه أى علامات مميزة؟!

أغمضت عينيها كانها تسترجع ذاكرتها ثم قالت:

- مش متذكرة بس هو كان معاه شنطة لونها أبيض فى أسود وبعد كده ماركزتش معاه.

سألتها فى عصبية:

- كان راكب عربية ولا موتوسيكل ولا كمل طريقه مشى؟!

أجابت هى فى توتر:

- موتوسيكل صينى ركبه وطلع بيه جري، بس بلاش تجيب سيرتى ممكن يكون راجل شرانى ويستقصدنى وانا مش ناقصة مشاكل.

ثم رأيتها تغادر المكان على عجل، أشارت لى بيدها سلام وتركتنى أفكر, يخيل لى أنى قد شاهدت تلك الحقيبة الأبيض فى أسود ولكن عقلى الواعى لايتذكر أين؟ لذلك سأترك المهمة لعقلى الباطن...

ولسوف أستعد غدا لمقابلة الشرطة...

16- خطوة للأمام

فى الصباح ذهبت لقسم للشرطة الذى يتابع موضوع السرقة...

كان مجند واقف أمام الباب يحمل سلاحه،استوقفنى ثم سألنى فى اشمئزاز كأن ضفدع مائى مر من أمامه.

سألنى فى تقزز:

- رايح تعمل إيه جوة؟!

أجبت متحاملا على نفسى:

- رايح أطلع بطاقة انتخابية.

نظر لى فى ريبة:

- أنت بتستهبل؟ أى انتخابات انت عارف إن لسه بدرى على الانتخابات؟

أجبت فى ضجر:

- هل فيه مشكلة انى اعمل بطاقة انتخابية؟

نظر لى نظرة عدم ارتياح ثم أشار لى بالسماح للدخول...

دخلت القسم كانت روائح غير محببة تنبعث منه....

كان قديما، الجدران تكتسى باللون الأصفر و المراوح كانت تمتلئ بأعشاش العنكبوت...

ذهبت إلى مكتب الضابط المناوب...

طرقت الباب طرقتين ولكنى لم أسمع صوتا, طرقت الباب مرة أخرى...

لم أسمع سماحا بالدخول، لذلك فتحت الباب ووجدت الضابط كان يتحدث فى الهاتف، كان غير مبال بى تماما، صوت ضحكاته تتعالى كأنه يسمع إلى طرفة...

كان الضابط نقيبا حيث يحمل ثلاث نجوم فوق كتفه...

انتظرت واقفا حتى ينتهى من مكالمته، ويبدو أن وقوفى امامه قد أتى ثماره، فوجدته يغلق الهاتف ثم قال فى حدة:

- أفندم، أخدم سيادتك ازاى؟!

قلت له:

- انا جاى من الصيدلية اللى حصل فيها جريمة السرقة وطعن وكنت جاى أدلى بمعلومات.

قال لى فى ضجر:

- أتفضل قول اللى عندك.

حكيت له كل الشكوك المتعلقة بالأشخاص الذين كانوا فى الكابينة ثم حكيت له حكاية الفتاة التى زارتنى فى الصيدلية وبالطبع لم أذكر اسمها.

بعد انتهائى من كلامى وجدته يقول لى:

- كويس جدا أنا سجلت الملاحظات، عايز حاجة تانية؟!

بالطبع أعرف أنه لن يهتم ولكنى فى آخر الأمر قد فعلت ما أراه صحيحا...

غادرت القسم وعقلى يئن من التفكير المستمر، كنت أتساءل: هل هذه الخطوة صحيحة أم كان يجب علىَّ الانتظار قليلا...

هل حقا كيشا هو الفاعل؟ ام أنه عويس أم عماد أم ممدوح؟!

حقا لا أدرى من منهم الفاعل؟

سأترك الأمر للشرطة، لن أستطيع المضى سعيا وراء حل هذه المعضلة...

الخيوط متشابكة ومعقدة، وكلها لايمكن فرزها و تتبع إحداها للوصول إلى الجانى...

كنت أشاهد فى الأفلام طرف خيط يؤدى إلى السارق، ويحاول المؤلف أن يأخذك بعيدا عن المجرم ثم تفاجئ أنه الشخص الذى لايمكن أن تتهمه....

برز فى خاطرى هل ممكن أن يكون د. محمد هو الفاعل؟!

ولكن بالسخافة تلك الفكرة كيف يمكنه أن يسرق نفسه؟

ولماذا طعن فاطمة؟ هل سيؤدى بمستقبله كله من أجل مسرحية سخيفة بلهاء؟

اذن هذا الاحتمال بعيد عن العقل؟

دعنا نرتب الأفكار ثم نحاول الاستنتاج:

- أولا يقوم السارق بطعن فاطمة.
- ثانيا يسرق المبلغ وهو يعلم مكانه جيدا.
- ثالثا كان يحمل حقيبة بيضاء فى أسود.
- رابعا هناك من استمع لمكالمة فاطمة وهم كيشا و عويس و عماد و ممدوح.

رجعت البيت واستغرقت فى نوم عميق ثم استيقظت قبل دوامى بساعة.

ارتديت ملابسى على الفور و اتجهت إلى الصيدلية...

وجدت لمياء هناك كعادتها تتكلم فى الهاتف مع صديقة لها تحكى لها أحداث المسلسل العربي، اليوم كانت متناسقة فى ملابسها فقد اختارت اللون البنفسجى مع البرتقالى والأزرق...

وهذه الفتاة تختار ملابسها بعناية، هذا التناسق الفريد يجعلها أشبه بمهرجى السيرك الروسى...

ولكن لكل شخص ذوقه ولابد من احترام هذا جيدا...

لم أطالبها بكوب شاى هذا اليوم، تركتها تنصرف وتغادر دون عمل إضافي....

سحبت مقعدا وارتميت عليه أفكر فى الأحداث مرة أخرى محاولا إيجاد أى حل لها...

انفتح الباب مصدرا صريره المزعج وقاطعا لأفكارى....

كان رجلا يستند على كتف سيدة تسير معه كان يرتدى جلبابا أبيض، وكان يئن من الألم، ولكن العجيب فى الأمر أنه كان فاتحا فمه...

ويقول كلاما غير مفهوم...

نظرت لى السيدة وقالت لى:

- ماعلش يا دكتور عملنالك قلق.. جوزى كان بياكل سمك وفيه شوكة وقفت فى حلقة وعايزينك تطلعها.

نظرت لها وقلت فى هدوء:

- اعتقد إن دكتور الاسنان ممكن يفيدكم عنى لان ده تخصصه.

قالت لى فى ضراعة:

- اقرب واحد لينا بعيد وعلشان نوصل هناخد وقت والمسكين ده مش مستحمل، الشوكة قريبة جدا أمسك انت الملقاط وطلعها، انا حاولت بس فشلت.

لم أجد مخرجا لكى أتفادى تلك المشكلة ولكنى سأحاول أن أساعدها بما أقدر أن أفعله...

اقتربت من الرجل ونظرت إلى فمه ولكنى وجدت بقايا من السمك والرز والسلطة بين أسنانه، ولا تنس الرائحة المنبعثة من فمه...

كان علىَّ أولا تنظيف حلقه من بقايا الطعام...

التقطت ملقاطا ووضعته بين يدى ثم أشعلت كشافا لكى أتفقد مكان الشوكة...

كانت قريبة من سقف الحنك عند اللهاة، لذا حاولت أن أمسكها بطرفى الملقاط ولكنى فشلت...

وبالطبع كان الرجل يتعذب...

حاولت المرة الثانية ولكنى أيضا فشلت...

وبالطبع كان الرجل يئن من الألم....

فى المرة الثالثة أمسكتها وأخرجتها ببطء شديد....

وبالطبع كان الرجل يصرخ...

أخرجتها له وقلت:

- آخر مرة تاكل سمك، أوك؟

لم يصدق الرجل أنه قد نجا من تلك الشوكة اللعينة التى أحالت حياته إلى جحيم لا يطاق...

فنظر لى فى امتنان واقترب منى بالطبع، ابتعدت عنه لأن الرائحة كانت لاتزال فى أوج تصاعدها...

أشرت له بكل مودة وامتنان...

ولكن الرجل تذكر شيئا، أخذ يبحث عن مخابئه و جيوبه عن مال ثم أخرج ورقة نقدية من فئة الجنيه الواحد...

وبكل فخر و كبرياء،ناولها لى فى يدى، حاولت أن أرجعها له، ولكن الرائحة المميتة أجبرتنى أن التزم الصمت، ثم غادرا الصيدلية...

لحظات قليلة مرت ثم بدأ الزبائن تتوافد علىَّ:

- حبيتين كتوفان لو سمحت يا باشمهندس.

_حبة سريع أبلونك علشان الصداع يا كابتن.

- نقط لمغص الاطفال و شاى أعشاب يا دكتور

- دواء بتاع كرشة النفس ابو 2 جنيه وعايز كمان كيس شامبو.

- كيس فيبكس يا برنس وادينى كمان بنص جنيه ريفو.

- عندك ترامادول بادور عليه بقى لى فترة علشان مسافر تلات ايام ولازم أطبق.

- كيس فوار رانى و ادينى حبة مغص للقولون.

هذا كان ملخص الزبائن الذين قدموا للصيدلية والذين سعدت بهم...

إن البهجة الحقيقية تجدها هنا فى عملى بين بيع الأقراص والحقن والأقماع الشرجية الكبسولات والأشربة، بالطبع تتساءلون عن هذا الذى طلب ترامادول هل أعطيته أم لا؟

بالطبع لا لن أبيع ضميرى لبيع مخدر....

أعرف أن الرغبة الملحة فى الثراء قوية ولكن لن أبيع ترامادول....

وبالطبع لن أكون مثل عم كشري تاجر الحشيش المشهور...

لأن الصيدلية بالطبع ليس لديها حصة المخدرات الخاصة بها....

ولذلك استرحنا من كل الوجوه اللاهثة وراء المخدرات...

انفتح الباب أمامى ووجدت ممدوحا، كان شاحب الوجه يبدو عليه علامات التوتر والذعر، انخفض وزنه فى اليومين السابقين، أستطيع أن أخمن حدوث شيء كان يخاف من وقوعه....

قال لى بصوت مبحوح:

- قبضوا على كيشا و عويس وهما معاهم حشيش.

قلت له:

- نهاية متوقعة، اللى بيتاجر فيه أو بيساعد على نشره لازم يتمسكوا، بس التهمة حشيش ولا اشتباه فى السرقة.

قال فى اقتضاب:

- لا حشيش بس.

ثم نظر لى نظرة ذات مغزى أفهم فحواها جيدا،إنه يتهمنى كونى المسئول عن البلاغ الذى أوقع بأصدقائه فى السجن...

ولكنى حقا لست أنا، وودت لو أفعلها ولكن ليست لدى الجرأة الكافية لإتمام مثل ذلك العمل....

حبات من العرق تلتمع على جبينه يريد أن يقول شيئا ولكنه خائف من التحدث....

قلت له:

- مش أنا اللى بلغت عنهم.

أدار ظهره لى ثم غادر فى صمت, هذا الشاب لديه سر حقا، ولكنه لا يستطيع البوح به، هو يود ولكن ثمة قيود خفية هو تحت أسرها، ولا يقدر أن يحرر نفسه منها...

جلست على المقعد أفكر وأصارع الكائن الكامن تحت جمجمتى بالمزيد من الصراع الذهنى، ولكن ثمة احتمال غفلت عنه وغفل عنه الجميع، بل هو أقرب احتمال للحقيقة...

لقد كنت مخطئا فى تفكيرى، لم يكن كيشا هو الفاعل، وليس عويس وليس عماد، إن الفاعل الحقيقى هو ممدوح الذى كان استمع للمكالمة....

هو الذى يعلم أنه يحظى بثقة عالية...كما أنه يستطيع أن يفعل فعلته فى ثوان معدودة ثم يرجع إلى مكانه كأن شيئا لم يحدث....

لم نفكر فيه لأنه كان بعيدا عن الاحتمالات...

غير ذلك الحقيبة تحمل اللونين الأبيض مع الأسود خيل لى مرة أنى قد رأيتها معه،

بشهادة الفتاة التى تضع الغسيل على الحبال فى الشرفة سيكون هو الجانى بلا شك...كنت منبهرا بما توصلت له، ولكن فرط التفكير الكامن داخل عقلى هو الذى أتى لى بمثل هذه النتيجة....

باب الصيدلية ينفتح معلنا عن قدوم ضيف جديا، كان رجلا بدينا شعره أجعد أشار لى بتحية دون أن يتكلم.

فتمتمت:

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

لم يرد أيضا ولكنه بحث بعينيه عن دواء يريده كان يبحث فى الشراب ولكنه لم يجده، نظر لى ثم أشار ناحية المرئ ورأيت يده تتجسد على هيئة زجاجة....

قلت له:

- دواء حموضة انت عايز.

أشار بيده كثيرة نحو المرئ ثم قام بحركة تمثيلية كأنه يعانى من الترجيع، فهمت أنه لا يتكلم ولا يسمع ويريد دواء لعلاج الترجيع أو الحموضة...

بدأت أخرج له دواء بدواء، ولكنه كان يرفض الجميع ثم نظر لى فى استنكار نظرة يعنيها جيدا، هذا الأحمق لا يفهمنى جيدا.

كان يقوم بحركات ويشير ولكنى عجزت عن فهم مقصده تماما..

أعطيته ورقة وطلبت أن يكتب لى ماذا يريد....

التقط الورقة ثم كتب عليها

عايز دواء للكحة اسمه برونكوفين

وقتها فهمت كنت قد أدخلت هذا الدواء لكثرة المترددين عليه...

ولكن هل أعطيه هذا الدواء أم لا؟

يبدو لى أنه ليس من المدمنين، يبدو لى أنه لن يشربه جرعة واحدة...

كما أن قسمات وجهه التى توحى بالطيبة والدعة تخبرك انه ليس مدمنا...

ابتسامته الحنونة وذوقه العالى عاملان مهمان، لقد استفتيت قلبوأخبرنى أنه لا بأس بإعطائه الدواء....

دخلت المخزن ثم ناولته الزجاجة، تهللت أساريره ثم نقدنى المال...

بعد ما خرج من الصيدلية وجدته يفتح الزجاجة ويجرعها كلها دفعة واحدة....

نظرت له فى أسى ووجهى يكاد يختنق من الغيظ...

لقد كنت أحمق عندما أعطيته الدواء واستشعرت ناحيته بالود والألفة...

كم أنا أحمق بالفعل، لقد عرف مخبأ الدواء، وسيأتى مطالبا به يوميا، لابد أن نتخلص من هذا الدواء فى أسرع وقت ممكن....

بعد لحظات انفتح الباب معلنا عن قدوم شخص آخر...

كان متأنقا يرتدى بنطالا جينز أسود وقميصا أزرق....

قال الرجل:

- السلام عليكم يا دكتور معاك توفيق مندوب شركة الكونية.

انا هنا لمقابلة د. محمد إدانى ميعاد علشان استلم الفلوس.

مندوب شركة الكونية هذا المندوب سئ الحظ الذى تأخر ميعاد تسلمه للنقود بسبب السرقة، هذا الذى كان من المفترض أن يتسلم نقوده يوم السرقة، ولكن حادثة السرقة حالت دون ذلك.

جلس هو أمامى فى المكتب على المقعد المواجه لى تماما ثم أخرج هاتفه الجوال وقام بالاتصال على د. محمد... مجرد مكالمة فائتة.

لاتنس أن سعر الدقيقة كان غاليا آنذاك...

لحظات وأتى د. محمد بسيارته المتهالكة، لابد أنه تأخر بسبب عطل بها...لابد أن يقوم بالتبرع بها لأقرب متحف لعرض التحف العتيقة...

هذه السيارة يمكن الوصول بها إلى الجهة التى تنشدها فى ضعف الوقت الذى يستهلكه أى فرد عادى خلال التجول بالأقدام...

هذه السيارة سوف تضطر لدفعها أغلب مسافة السير ثم تتعطل قبل المكان بحوالى نصف ساعة مع أن المكان الذى تريد الوصول إليه لا يستغرق ربع ساعة مشيا على الأقدام....

لابد أن لديه سببا خرافيا لاحتمال تلك السيارة، ليس بالطبع للوجاهة الاجتماعية هناك سببغير ذلك...

هناك مثل يقول:حمارتك العرجاء تغنيك عن سؤال اللئيم.

وأنا أقول:سؤال اللئيم خير لك من أن تصاب بشلل نصفى نتيجة حمارتك العرجاء.

كالمعتاد رفع يديه وقال:

- آسف جدا بس العربية كالمعتاد تعطلت منى.

رددت عليه:

- الفكرة ان عربيتك محتاجة لعربية جديدة.

نظر لى بلا مبالاة ثم قال:

- بكرة هتعرف قيمة العربية لما تحتاج تروح مشوار وماتلاقيش تاكسى يوديك هناك.

قال المندوب توفيق فى تبجل:

- آسف يا دكتور لإلحاحى على الفلوس بس انتم أتاخرتم وكان لازم اتصل عليك علشان آجى آخد المبلغ.

قمت من مقعدى لكى يجلس عليه د. محمد ولكنه أشار بيده أن أظل جالسا....

أخرج من جيبه رزمة من المال وأعطاها للمندوب الذى أخذ الرزمة وبدأ فى إحصائها أمامنا ثم أخرج حقيبة لكى يخرج منها سند الاستلام...

ولكن شيئا ما لفت انتباهى، هل تعرف ما هو؟

خمن معى، ارجع بذاكرتك قليلا، شيئا غير متوقع أثار انتباهى...

الحقيبة التى معه.. كانت تحمل اللون الأبيض مع الأسود، تماما مثل الوصف التى أدلت به الفتاة التى تضع الغسيل على الحبال فى الشرفة المواجهه للصيدلية.

أخرج المندوب حقيبته التى تحمل اللون الأبيض مع الأسود ثم تناول ورقة مكتوبا عليها سند الاستلام....

ولكنى قمت من مقعدى وانتزعت منه المال فى عنف...

نظر لى فى غضب وقال لى:

- بتعمل إيه يا مجنون، رجع الفلوس حالا.

تعجب د. محمد من رد فعلى التى صدرمنى ثم قال لى فى قلق:

- ليه يا أحمد أخدت منه الفلوس بالأسلوب ده؟

كنت ناظرا له فى غضب وقد قام واقفا فى عصبية يمسك حقيبته ثم قلت بصوت لا يخلو من الأداء المسرحى:

- علشان هو الحرامى اللى سرق الصيدلية.

بالطبع لم ينتظر المندوب ثانية بل أمسك بياقة قميصى وجذبنى إليه فى عنف شديد... قام د. محمد على الفور ليخلصنا من بعض.

بعدما تأزم الموقف...قال المندوب فى غضب:

- حرامى مين؟! مين أنت علشان تقول لى كده يا...

أطلق سبابا بذيئا للغاية..كان د. محمد غير مدرك لما يحدث.

أوقفنى بيده وقال:

- ليه كده يا أحمد، ازاى تتهم أى حد بدون دليل؟

ولكنى نظرت له فى عصبية قائلا له:

- الشنطة اللى معاه هى نفس الشنطة اللى كانت مع الحرامى يوم السرقة فى واحدة شافته وبكرة انا هابلغ الشرطة وأخلى البنت تشهد باللى شافته يوم السرقة.

نظر المندوب إلى د. محمد ثم قال:

- أنا اتهنت فى صيدليتك يا د. محمد وده ما ينفعش خالص.

أشار لى د. محمد بأن أجلس فى مقعدى وطلب منى المال..

ناولته المال الذى التقطه ثم أعطاه للمندوب وتسلم هو سند التسلم..

ثم اعتذر للمندوب بكلمات مقتضبة موضحا له ما نعيشه من تاثير الضغط النفسى وهو المسئول عما نحن فيه....

رحل المندوب من الصيدلية فى أسى ثم اعتذر لى عما بدر منه...

قمت واقفا من مكانى وقلت له:

- ليه مابلغتش الشرطة؟ هو ده الحرامى اللى سرق الفلوس؟!

ابتسم ابتسامة هادئة ثم قال:

- انت مندفع بزيادة، اولا قبل ما ترمى تهمة على أى حد لازم يكون معاك دليل قوى.

قلت له فى حنق:

- طيب والدليل اللى أنا ذكرته مش كفاية؟!

أومأ برأسه نفيا ثم قال:

- مشكلتنا أننا متأثرين بالمسلسلات والأفلام، وده دايما بيخلينا نغلط فى اختياراتنا وتفكيرنا، المسلسلات والأفلام لها سيناريو مكتوب ومؤلف بيحكى من خياله عن شئ قد يكون صح أو خطأ، ولكن الحقيقة

إننا بنحتاج بحث وتدقيق وتحليل للموقف من أبعاد نفسية واجتماعية، ولو كانت الأمور سهلة زى ما بتشوفها فى الأفلام كانت الناس كلها بقت بتشتغل فى التحقيق وكشف الجرائم.

سألته بعد أن هدأت:

- طب ليه استبعدت انه يكون هو السارق الحقيقى؟!

وجدته يبتسم فى خبث ثم قال:

- لأنى أنا عارف الجانى الحقيقى؟!

كانت الجملة الأخيرة بمثابة قنبلة ألقاها, وبالرغم من ذلك كان هادئا كتمثال من الصلب, إذن هو ايضا يقوم بدور المحقق ولكن فارق العمر يعطيه خبرة كافية لكى يستنتج من الفاعل فى ثوان.

سألته فى لهفة:

- ومن هو السارق الحقيقى؟ هل هو ممدوح أو كيشا أو عماد؟ وازاى كنت عارف وماقلتش للبوليس؟

نظر لى وقال:

- انا هاعمل كوب شاى تحب أعملك معاى؟

ليس هذا وقت شرب الشاى بتاتا، هذا الرجل يتلاعب بأعصابى، أريد أن أعلم من هو الفاعل؟ ثم ليشرب الشاى كما يريد...

أومأت برأسى موافقا، ثم اتجه هو إلى مخزن لكى يجهز الشاي...

وقفت معه فى المعمل وأنا أسأله فى نفاد صبر:

- د. محمد انت عارف السارق وبالرغم من كده انت هادئ وبتعمل شاى وممكن تتعشى ماعندكش مشكلة بالرغم انها صيدليتك.

نظر لى فى دهشة ثم قال:

- فعلا انا نسيت العشاء، إيه رأيك نطلب أكل نتعشى النهاردة مع بعض؟!

- انت تتحدث عن العشاء وشرب الشاى ببساطة بينما هناك ضحية وقعت لذلك العمل البغيض ورغم ذلك تتجاهل ذلك أو تتظاهر بتجاهله....

لم يعجبنى الأمر، أحسست بعدم مسئولية منه لذلك تركته، وغادرت المعمل وقد اتخذت قرارا بأنى سأترك الصيدلية...

لقد جلبت لى الشقاء والبؤس والتفكير اللعين المستمر، وكاد أن يفتك بى أحدهم فى سبيل البحث عن الحقيقة...

ولكنك تأخذ الأمر ببساطة وتتجاهل الأمر برمته...

إذا لم تهتم انت بمالك وصيدليتك، فمن سيهتم بها؟!

هل نجلب شخصا من الشارع ونتوسل إليه...

أحضر هو كوبين من الشاى فوق صينية فضية قديمة عليها رسم حصان ويجر خلفه عربة... أعتقد أن كل مصر اشترت تلك الصينية الخالدة....

نظر لى وقال فى هدوء بعدما جلس على مقعد مواجه لى:

- عارف انك هتموت لأن أنا مش مهتم بأمر السرقة أو ليه مبلغتش الشرطة عنه؟!

ثم ارتشف رشفة من كوب الشاى وقال:

- انت عارف انى ماعرفتش الحرامى وانه هو جه بنفسه واعترف وطلب منى انى أسامحه.

الآن عرفت من هو اعتقد انه ممدوح، ولذلك كانت ملامح الضيق على وجهه.. قلت له:

- اعتقد انه ممدوح هو السارق.

نظر لى ثم هز رأسه نفيا قائلا:

- لن تتوقعه لأنه فوق الشبهات، الشخص الوحيد الذى سرق الصيدلية بالرغم أنه ينتمى لها، الشخص الذى خان الأمانة واستغل ثقتنا فيه، هو الشخص الذى لم نشك فيه للحظة واحدة.

اتسعت عيناى من المفاجأة لم أكن أتوقع ذلك، لقد وضعت فى رأسى كل الاحتمالات، ولكن لم أتخيل أن يكون السارق هو واحد منا.

قلت له وانا أبتلع ريقى بصعوبة:

- هل فاطمة هى السارقة؟

أومأ براسه موافقا ثم رأيت ملامح من الحزن والأسى ترتسم على ملامحه وقال:

- ما توقعتش انها تكون هى اللى دبرت السرقة؟ كنت متوقع حد تانى مش من المنطقة، بس هى اعترفت انها اللى خططت للسرقة؟

لم أستوعب الفكرة، فقد كان فى ذهنى ألف سؤال سألته قائلا:

- كيف خططت للسرقة؟ ومن الذى ساعدها؟

قال فى حزن شديد:

- اتفقت مع جوزها أن يقوم هو بطعنها ويأخذ المال ويهرب.

قلت:

- ولكن كيف ذلك هى لا تعرف أنك سوف تطلب منها الاتصال بك؟! وكيف تأتى لها أن تعرف موعد السداد؟ وكيف اختارت الوقت؟وكيف اتصلت بزوجها؟ وكيف حصلت على الحقيبة؟لو فعلت ذلك حقا لتأذت بسبب النزيف، هذا الحادث كاد أن يؤدى بها فكيف خططت أن يلحق بها أحد؟!

أشار بيده أن ارتاح من الكلام قائلا:

- بالراحة، واحدة واحدة وهاشرحلك ازاى خططت للموضوع؟!

ثم ارتشف رشفتين من الشاى وبدأ يحكى الحكاية:

دعونا من حكاية د. محمد، فأنا أعلم أنه سوف يقول كلمتين وهذا لن يشبع فضولى، أريد أن أعلم كيف تمت السرقة بتفاصيلها، ودعونا نذهب إلى فاطمة التى خططت لهذه الجريمة،إن الحديث مع الرجال مقتضب للغاية، ولن تستطيع أن تعرف التفاصيل، وهذه خاصية متواجدة فى جميع الرجال، فالرجل لن يرد على شئ إلا إذا قمت بسؤاله عنها....

دعنا نلتقى فاطمة ونجعلها تحكى لنا بلسانها كل التفاصيل لنفهم كيف حدث ذلك وكيف خططت لها...

قالت فاطمة فى حزن وأسى:

- الجريمة دائما عار على مرتكبيها, واذا ظن أحدهم أنه يقدر على الإفلات من فعلته يكون أحمق، بالطبع وقد كنت أنا هذه الحمقاء، اسمى فاطمة وأبلغ من العمر 34 عاما عملت بصيدليات عديدة كنت مثال الأمانة والنزاهة، ولم اقترب يوما من أخذ ما ليس لى، نشأت فى أسرة معدمة، واكتفيت بتعليم متوسط، ومنذ حصولى على شهادة الدبلوم الصناعية وأنا حياتى كلها فى كد وشقاء وعمل... أحاول أن أحصل على قوت يومى... وتنتابنى بعض الافكارالتى لا تصلح لفتاة مثلى كاقتناء أدوات التجميل والملابس الفاخرة، ولكن راتبى لايكفى لهذه الرفاهية المبالغ فيها، حتى تقدم لى شخص ينتمى للطبقة المعدمة مثلى، ولكنه لن يطالبنى بجهاز مبالغ فيه، وانا لن أطالبه بأثاث ثمين، وهكذا صار الارتباط بيننا ممكنا، كما أنه تربطنى به صلة قرابة... تزوجت وانا فى العشرين من عمرى، وظننت أن الحياة ستتغير ولكنها ازدادت سوءا، رزقنا بطفل صغير أطلقنا عليه سلامة ثم بعده بثلاث أعوام، رزقنا بطفلتين توأم هما سماح و سميرة وازداد عبء المسئولية

على كاهلينا، وبالرغم من ذلك لم نيأس بل ازداد عندنا الأمل والعمل والحماس، وهنا اقترحت صديقة لدى أن أعمل معها فى الصيدلية لأنهم يحتاجون عاملة، وهنا عملت فى صيدلية وتعلمت منها الكثير، وأصبحت لدى خبرة بالدواء، وبدأت انتقل من مكان إلى مكان حتى قابلت د. محمد،بدا لى أنه شخص هادئ ولن يطالبنى بمجهود بدنى شاق، أو يصيح فىَّ كما كان يفعل بعضهم معى... عملت مع د. محمد مدة خمسة سنوات حتى فى يوم وجدت شخصا أحمق لايزال فى الكلية، أتى الصيدلية لكى يتدرب وبالرغم من عدم اطمئنانى لذلك الشخص الأبله ولكنى وجدت أن وجوده لابأس به كاقتناء كلب لولو صغير ومدلل ولطيف.

اعتذر عن المقاطعة ولكنها تقصدنى بتلك العبارة، يبدو أن الشعور كان متبادلا بيننا فلنستكمل قصتها هى:

- لقد كانت الأمور تسير على انحدار، ولكن كنت أستطيع تحمل الوضع حتى تم فصل زوجى من العمل بسبب تطاوله على المدير وتهشيم عنقه حيث كان المدير أبشع إنسان يمكنه التواجد على الكرة الأرضية يطلق السباب والشتائم ببساطة، هنا انهار كل شئ فى عنف فراتبى لا يكفى لسد احتياجات البيت، وقد نتحمل الجوع أو نكتفى بما لدينا من ملابس ولكن احتياج الأطفال لن نقدر عليه، لابد أن نوفر لهم ما يحتاجونه... لقد أمضى زوجى سنة كاملة يبحث عن عمل ولكنه لايحمل أى شهادة، مع ازدياد المسئولية صارت الحياة جحيما لايطاق، كنت أبكى من الحاجة، ولكن لاأستطيع البوح.. حتى دخل زوجى ذات مرة وقال لى إنه سيقيم مشروعا ولكنه يحتاج مبلغا صغيرا يبدأ به، ولكن ليس لدى ما أملكه من مال لمساعدتك، ولكنه أشار لى بأخذ مال من الصيدلية لوقت معين ثم إرجاع المبلغ مرة أخرى، ولكن ذلك من المحال لأنه سيعرضنى أنا للمساءلة وسأكون أول من تتجه إليه الأنظار، ألح فى طلبه وقال إنه حصل على خمس تلاف ببيع نصيبه من الميراث ويتبقى فقط خمسة الاف جنيه حتى يقدر على بدء المشروع، ودونه لن نستطيع أن نفعل شيئا، كان الأمر بالنسبة لى ذنبا كبيرا وجريمة لا تغتفر، ولكن الحاجة والنقص يجعلك أن تقوم بما هو أسوأ من ذلك، حتى أخبرنى د. محمد عن تأخره عن سداد الشركة الكونية للدواء بمبلغ خمسة آلاف جنيه وسوف يقوم بسدادها الأسبوع المقبل، اختمرت الفكرة لدى وأنا أشاهد فيلما أجنبيا يعرض على التلفاز، أخذت أفكر وأضع الاحتمالات وبما أنى عملت مع د. محمد فقد حفظت شخصيته واستنتجت خطواته....

سيقوم هو بوضع المبلغ قبلها بيوم فى المعمل، بالطبع المكان لا أدرى عنه شيئا... ثم يطالبنى بالاتصال من الكابينة ـ لأنه ليس لدى هاتف جوال ـ التى يعمل بها ممدوح لكى يصف لى المكان الذى خبأ به النقود، فهو حذر للغاية....

أخبرت زوجى بالفكرة التى التمعت فى ذهنى، فتحمس لها للغاية، وهكذا بدأنا نتدرب على ما سنفعله فى الصيدلية بعد نوم الأطفال، وحرصنا أن تكون الطعنة سطحية وليست عميقة مجرد نزيف دم...

هذا ما نحتاجه فوجود الطعنة مع السرقة سيمحو عنا أى شك بأننا الجناة الحقيقيون ولكن بقى شئ لابد أن يكون هناك.

من يضع الشك حوله، كان مندوب الكونية قد نسى حقيبته وقد التقطها ولم يعلم أحد بهذا وحتى المندوب لم يهتم لأن لديه الكثير من الحقائب....

كما أنى أعلم أن ممدوح يجتمع عنده زملاؤه الذين يتناولون الإفطار عنده، وبالتالى عندما أذهب إليه سأتعمد رفع صوتى حتى يسمعنى الجميع ثم أتصل بزوجى لكى يأتى ثم يفعل ما اتفقنا عليه، وبعدها سأكون ممددة على الأرض بانتظار من يأتى لكى يبلغ الشرطة، واذا لم يأت أحد فسأقوم أنا وأذهب إلى ممدوح لأستغيث به لكى يبلغ الشرطة...

كانت الخطة رائعة، ولن يستطيع أحد أن يكتشف الحادث، ولكنى كنت خائفة من الطعنة، ولكن فى قرارة نفسى كنت أقول إنها طعنة ستمر كأنى وقعت فى المطبخ على زجاج أو سكين...ولكل شى مخاطره....

حتى أتى اليوم الذى قرأت فيه الرسالة التى تركها لى د. محمد، وذهبت إلى ممدوح بعدما رأيت كيشا وعويسا داخل الكابينة، وكان هناك عماد، وبالتالى سيكون المشتبه فيهم كثيرين...

تعمدت رفع صوتى ثم اتصلت بزوجى وكلمته على هاتف البيت بأن يحضر فقد حان الوقت...

جاء زوجى ملثما كما أمرته بأن يفعل ذلك عن طريق إحاطة وجهه برباط مطاطى ثم دخل إلى الداخل...

وطعننى طعنة سطحية ثم أخذ المال الذى وضعته أمامه، لم أحس بالطعنة ولكن رأيت الدم ينزف منى لم أتحمل فوقعت على الأرض، بعدها بلحظة جاء ممدوح الذى رأنى ثم أبلغ الشرطة والإسعاف معا...جاءت عربة الإسعاف فحملونى ثم ذهبنا إلى المستشفى،وهناك أخبرونى بأن الطعنة سطحية ولأننى بدينة فلم يحدث الكثير من الأضرار داخل الجسم، مجرد جرح فى البطن وقد قام الأطباء بدورهم فى علاج ذلك الجرح....

فى اليوم التالى وجدت ذلك المتدرب الجديد ثم جاءت لمياء ود. محمد وكم أسعدنى أن ذلك المتدرب الأحمق يلعب دور المحقق، وبالتالى أطمأننت أنى سأنجو لأن احتمالاته كلها كانت خاطئة وتصب فى مصلحتى...

أحسست أننا قد نجونا من ذلك الحادث، وأننا سنعيش حياتنا، وخاصة أنى سوف اعتذر عن عدم مواصلتى للعمل بسبب ما حدث لى...

وبدأ زوجى فى شراء توكتوك جديد، يقوم فيه بتوصيل الناس فى الريف وسوف يحصل على مبلغ رائع...كما أنه هو المالك والمدير فلن يتعرض لمضايقات أخرى...

ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهيه السفن...فقد تعرض زوجى لحادث اصطدام بشع كاد يؤدى بحياته؛ حيث اصطدم بسيارة نقل كبيرة ثم سقط فى الترعة...وهنا انتقل زوجى لقسم العناية المركزة،أخبرنى الأطباء بأن حالته قد ساءت وأنه صار قاب قوسين أو أدنى من الموت...لذلك وجدت أن النقود المسروقة هى السبب فيما وصلنا له...

إنها تذكرة من الخالق لنا....

لقد استولينا على مال ليس من حقنا، وقمنا بسرقة وقد يصل الأمر إلى إلقاء شبهة دون ذنب على أحدهم....

لذلك لم أحتمل الأمر، ذهبت إلى د. محمد وطلبت منه بأن يقابلنى فى مكان بعيد... قابلنى فى الحديقة، وأخبرته بكل ما حدث،بكل التفاصيل،وطلبت منه أن يسامحنى، وكان كعادته هادئا لم يغضب ولكن رأيت الحزن فى عينيه....

ثم طلبت منه مهلة لإرجاع النقود إليه....

ولكنه قال إنه لا يقبل العوض، ذهب المال حيث ذهب، وطلب منى أن أبتعد عن الصيدلية وألا أتصل به مره أخرى....

فذهبت بعيدا، لكى أتحاشى أنظار الناس الذين لن يرحمونى، لقد خسرت سمعتى وكرامتى وهيبتى.

انتهت فاطمة من روايتها الطويلة بالطبع، لو كنت تركت د. محمد لكى يرويها لكان اختصرها فى كلمتين بالطبع ذهب هو هناك إلى البوليس وتنازل عن محضر السرقة ولم يتحدث عن شئ.

أما أنا فكان موقفى سيئا فقد استهلكت أسبوعا كاملا لكى اعتذر لكل من سبق وأن اتهمته، وبالطبع هناك من اتهمنى بالغباء والعته، بقى لك أن تعرف أن كيشا و عويسا قد حكما عليهما بتعاطى المخدرات مدة عام واحد، وهى أقل بالطبع من الاتجار فى الحشيش، وأن فاطمة قد اختفت نهائيا، ولم أعد أراها سمعت أنها قد رحلت إلى مكان آخر،وأن زوجها تعافى من الحادث ولم أعرف عنهما شيئا حتى الآن....

بالطبع غادرت الصيدلية استعدادا للعام الدراسى الجديد...

ولكن حملت معى تجربة رهيبة ظلت تتأجج بذهنى فترة طويلة...

لم أكن أتوقع أن تكون هى السارقة، ولكن تعلمت ألا أكون مندفعا، وأن أحاول أن أتحلى ببعض الهدوء...

18 – الخاتمة

انتهت القصة نهاية حزينة لم أكن أتوقعها قط، كنت أتمنى أن تنتهى نهاية سعيدة حيث يتزوج البطل من البطلة وينتهى الفيلم، كنت أتمنى أن أفعل ذلك لكى تشعر بالسعادة...

ولكن ليس كل ما ننشده ندركه، نحن نعيش على أرض الواقع، حيث يحدث كل ما يخطر وما لايخطر ببالك...

نتمنى لو كنا جزءا من فيلم سينمائى لكى نتزوج البطلة وينتهى كل شئ...

ولكنك هنا تعيش فى أرض الواقع حيث لا يوجد سيناريو محدد تتبعه لكى تصل للنهاية...

أغلب الذين يتخيلون أن انتهاء الفيلم بزواج البطل من البطلة قد وصلوا للنهاية...

كم هم حمقى لا يدرون أنها ليست النهاية ولكنها البداية فحسب...

هى لعبة أنت الذى يضع قواعدها وأحكامها وحدودها، والمطلوب منك أن تصل للنهاية محاولا أن تتفادى العقبات والحواجز التى ستقابلها...

أرض الواقع هى حلبة الصراع الذى قدر لك أن تخوض معركة غير متكافئة الأطراف...

مرت الأعوام وجدت نفسى متخرجا، وهنا بحثت عن عمل فى الصيدلية، ثم تركت العمل فى الصيدلية وعملت مندوبا لشركة دواء، ثم اكتشفت أن فكرة بناء حياتك فى بلدك ستستغرق منك فترة كبيرة إذا ظلت الأسعار كما هى وبالطبع هذا محال....

ولذلك لم أجد أمامى إلا سبيلين إما الاتجار فى المخدرات، وهذا حرام وممنوع شرعا وقانونا وعرفا ومجتمعيا...أما السبيل الآخر هو السفر إلى إحدى البلاد العربية وقد كان ذلك.

ولهذا المرحلة قصة أخرى ولكنها تختلف عن هذه تماما...

فتعاملك مع البيئة العربية مختلفا تماما عن البيئة المصرية...

ولكن حيثما تواجدت تتواجد معى المشاكل فقد صادفت جريمة أخرى هناك...

ولكنى هذه المرة قمت بشئ أقصد أننى قد قمت بعمل بارع...

وهذا ما ستتناوله القصة القادمة...

أحمد الطنطاوى

نوفمبر 2016